ان ذلك حرام فاقتصر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فانما يخشى ان تنسد طريق الاتعاظ فأما ان تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك ومحلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فأقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت عليه سفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات ويتلوه في أول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تم

(تم طبع الجزء الثالث من احياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع بعون الله تعالى وتوفيقه)

المختص بها ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهرت الاسرار فكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها وزنها بالعقل حتى يضعها في مواضعها فبجل حال الشيوخ عن اذاعة الاسرار لرزانة عقولهم وينبغي للمريد ان يحفظ سره من بثه ففي ذلك صحته وسلامته وتأييد الله سبحانه وتعالى يتدارك المريدين الصادقين في موردهم ومصدرهم

و و رثتهم أحياء وغاية الامر وقوع انخلاط فى أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلا
خلاف فى انه مال حرام ولا يقال هو مال لامالك له ويجب ان يقسم بين العشرة و يرد الى كل واحد عشرة وان كان
مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثانى فى قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم
واستحلوا أموال السلاطين و رغبوا فى طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه
أكثر من الذين زهدوا فى الدنيا و رفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب
الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء عليهم
السلام والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل
موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه
كصخرة وقعت فى فم الوادى فلا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور أهل
العلم فى هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير (وفرقة أخرى) احكموا
العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصى وتفقدوا اخلاق النفس وصفات
القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم فى التبرى منها وقلعوا من القلوب
منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت فى زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا
خداع النفس مادق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار
عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه الا انه لم يفتش على مالم يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل
قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن انه قد
قلعها فاذا هو بها فى غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدرى فكذلك العالم قد يفعل
جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين
ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى
هو طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء
والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له فى المهمات وايثاره فى الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ
بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح
بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال
للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن فى الكافة المقبلين على الدنيا لا عن
تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور وحياته فى الباطن
بما انتظم له من أمر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد
بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج
الى أن يكذب فى تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد
فيه فوق قدره و ينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه
على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه فى الفضل والورع وانما ذلك لانه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء
عليه وأشد اصغاء اليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون فى العلم وهو يظن أن قبولهم له
لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على مايسر على لسانه من منافع خلقه و يرى أن ذلك مكفر
لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب فى ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم
لم يرغب فيه لفقده فى العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم
من بنى آدم انه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع فى حبائلى وعساه يصنف و يجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به

متلقيا ما يرد عليه مؤديا
للامانة فيه ثم ينبغى للشيخ
ان يعتبر حال المريد و يتفرس
فيه بنور الايمان وقوة العلم
والمعرفة ما يتأتى منه ومن
صلاحيته واستعداده فمن
المريدين من يصلح للتعبد
المحض وأعمال القوالب
وطريق الابرار ومن
المريدين من يكون مستعدا
صالحا للقرب وسلوك طريق
المقربين المرادين بمعاملة
القلوب والمعاملات السنية
ولكل من الابرار والمقربين
مبادى ونهايات فيكون الشيخ
صاحب الاشراف على
البواطن يعرف كل شخص
وما يصلح له والعجب أن
الصحراوى يعلم الاراضى
والغروس و يعلم كل غرس

وانما

واغار يده استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك
مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ولعله فى
تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن فى غيره ليستبين من
طعنه فى غيره انه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان فى غنية عن الطعن فيه ولعله يحكى من الكلام
المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه
كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذى يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ولعله يجتهد فى تزيين
ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها
ليكون أقرب الى نفع الناس وهو ساه غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف فى الحكمة فأوحى
الله الى نبى زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا وانى لا أقبل من نفاقك شيأ ولعل جماعة من هذا الصنف من
المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم
فرقة من أصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه أكثر تبعا أو غيره فيفرح ان كان أتباعه أكثر وان علم
أن غيره أحق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد
منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد فى نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر
لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل
التحيز منه الى فئة أخرى كان أنفع له فى دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه فى هذه الفئة وسلامته عنها فى تلك
الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادى الحسد لم يقدر على اظهاره
فيتعلل بالطعن فى دينه وفى ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسى ومهما ذكرت
عيوبه بين يديه ربما فرح له وان أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر أنه
كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه فى ذلك فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن
له الا الاكياس ولا يتنزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان
عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته
حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور المزكى لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه
الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور
الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا فى العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لم
يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه (فمنهم فرقة)
اقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح
العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم
يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشى الى السلاطين
وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من
وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم
مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام
وهو مشرف على الهلاك ويحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فيشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا
ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألنى عن
ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر
والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافى فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك

وأرضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعلم قطنها وما يتأتى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يأمره بالانفاق ومنهم من أمره بالامساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كأصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فاما فى رتبة الدعوة فقد كان يعم الدعوة لانه مبعوث لاثبات

ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض
وهو لا يحتاج الى شئ من ذلك قط فى عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان فى المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه
لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه
وليس يدرى ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال
وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه فى جوارحه
وقلبه فهذا غروره من حيث العمل وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين
وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن فى المحدثين وقال انهم نقلة أخبار وحملة أسفار
لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذى
يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه
فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التى هى أهم وهو غافل مغرور
وسبب غروره ما سمع فى الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة
والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والذى يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا
العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال فى طريق
الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات
المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله فى الاقتصار
على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك فى أنه لو لم يكن لتعطل
الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج فى شئ ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك فى كتاب العلم ومن هؤلاء من
اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل
الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار فى التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران
والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم
الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه فى المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى
الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما
التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التى تجرى بين المتصارعين فى الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من
قبلهم فى علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل فى
الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما أدلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما أبدعت
لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم (وفرقة
أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة
المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق فى مناظرة أولئك وافحامهم وافترقوا فى ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه
لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف
بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان
ضالة ومحقة فالضالة هى التى تدعو الى غير السنة والمحقة هى التى تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم * أما
الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما أتيت من حيث انها لم
تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة * وأما الفرقة المحقة

فانما

الحجة وايضاح المحجة يدعو
على الاطلاق ولا يخصص
بالدعوة من يتفرس فيه
الهداية دون غيره * ومن
أدب الشيخ ان يكون له خلوة
خاصة ووقت خاص لا يسعه
فيه معاناة الخلق حتى يفيض
على جلوته فائدة خلوته ولا
تدعى نفسه قوة ظنا منها ان
استدامة المخالطة مع الخلق
والكلام معهم لا يضره
ولا يأخذ منه وانه غير محتاج
الى الخلوة فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع كمال
حاله كان له قيام الليل
وصلوات يصليها ويدوم
عليها وأوقات يخلو فيها
فطبع البشر لا يستغنى عن
السياسة قل ذلك أو كثر
لطف ذلك أو كثف وكم

فأما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل أنه أهم الامور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم
لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس
بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات
وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة
والباطنة وأحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام
ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول فان النبي صلى الله
عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم
عرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه
الا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا
على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة
الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على
أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال أبهذا
بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد
زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى
كافة أهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم
الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات
والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وأن يعلم
أصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الارض وهلكنا لم
تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود
والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا
وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده
التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا
لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى أن أتفقد
نفسي وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لاتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه (وفرقة أخرى) اشتغلوا
بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر
والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم اذا
تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن
قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لانهم يعجبون بأنفسهم غاية الاعجاب ويظنون
أنهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا
على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك
الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى
ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى
انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من
المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليعتقد فيه

من مغرور وقانع باليسير من
طيبة القلب اتخذ ذلك
رأس ماله واغتر بطيبة قلبه
واسترسل في الممازحة
والمخالطة وجعل نفسه مناخا
للبطالين لقمة توكل عنده
ويرفق بوجد منه فيقصده
من ليس قصده الدين ولا
بغيته سلوك طريق المتقين
فافتتن وأفتن وبقي في خطة
القصور ووقع في دائرة
الفتور فما يستغني الشيخ
عن الاستمداد من الله تعالى
والتضرع بين يدي الله
بقلبه ان لم يكن بقالبه وقلبه
فيكون لله في كل كلمة الى
الله رجوع وفي كل حركة
بين يدي الله خضوع وانما
دخلت الفتنة على المغرورين
المدعين للقوة والاسترسال

انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء و يصف الزهد فى الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار و يخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس و يقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص و يذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا ولو منع عن مجلسه الذى يدعو الناس فيه الى الله اضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى أحد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب فى الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو ان يدعى مثلا حب الله فما الذى تركه من محاب نفسه لاجله و يدعى الخوف فما الذى امتنع منه بالخوف و يدعى الزهد فما الذى تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه و يستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات و يطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم فى الآخرة يفتضحون بل يطرحون فى النار فتندلق أقتابهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يأمرون بالخير ولا يأتونه و ينهون عن الشر و يأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون فى قلوبهم شيأ ضعيفا من أصول هذه المعانى وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية فى هذه المعانى فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحب والخوف بل فى القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف فى قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض و يصف دواءه بفصاحته و يصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم فى صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم فى الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل و الزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصرى وأمثاله رحمة الله عليهم (وفرقة أخرى) منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور فى بعض أطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فأكثر همهم بالاسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم و وعظهم وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله و يجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصى و رغبة فى الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما

فى الكلام والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تأدبهم بالشيوخ * كان الجنيد رحمه الله يقول لاصحابه لو علمت ان صلاة ركعتين لى أفضل من جلوسى معكم ما جلست عندكم فاذا رأى الفضل فى الخلوة يخلو واذا رأى الفضل فى الجلوة يجلس مع الاصحاب فتكون خلوته فى حماية جلوته وجلوته مزيد الخلوته وفى هذا سر وذلك ان الآدمى ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير على ما أسلفنا من كونه مترددا بين السفلى والعلوى ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور وعن الصبر

يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا (وفرقة أخرى) منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام أهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم (وفرقة أخرى) استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروي عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم ومنها أنهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصغي لتسمع فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو أخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان * أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال * والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيأ يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح وأقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ثم اذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد

على صرف الحق ولهذا كان لكل عامل فترة والفترة قد تكون تارة في صورة العمل وتارة في عدم الروح في العمل وان لم تكن في صورة العمل ففي وقت الفترة للمريدين والسالكين تضييع واسترواح للنفس وركون الى البطالة فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته الى الخلق فأفلح الخلق بقسم فترته وما ضاع قسم فترته كضياعه في حق المريدين فالمريد يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب الى الاقبال على الله والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته ويعود الى أوطان خلوته وخاص حاله بنفس مشرئبة

فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع
هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغى انى فى
صباى حضرت مجلسا روى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدرى ماهو فلا خلاف فى أن الرواية
كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركى الذى لا يفهم العربية لانه سمع صوتا
غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها وكيف يؤدى كما سمع من لا يدرى
ما سمع فهذا أفحش أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين
سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا أن للمحدثين فى ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين أن يشترطوا
ذلك فيقل من يجتمع اليهم فى حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضا أحاديثهم التى قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما
عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط الا أن يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدرى ما يجرى وصحة
السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به فى
قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين فى اقتصارهم على النقل
وفى افناء أعمارهم فى جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معانى الاخبار بل الذى
يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ انه
حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
فقام وقال يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور
(وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من
علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق
النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها
ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلابد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط
بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة
الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل
ورود الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب
فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معانى الشريعة
والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو
غرور اذ المقصود من الحروف المعانى وانما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين
ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين
فكذلك غرور أهل النحو واللغة والادب والقرا آت والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا
لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذى فوقه
هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق
الرواية وهو قشر بطريق الاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك
وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل
قلبه وجوارحه وزجى عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو
المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل

أكثر من عود الفقير بحدة
ارادته من فترته فيعود من
الخلق الى الخلوة منتزع
الفتور بقلب متعطش وافر
النور وروح مخلصة
عن مضيق مطالعة الاغيار
قادمة بحدة شغفها الى دار
القرار * ومن وظيفة الشيخ
حسن خلقه مع أهل الارادة
والطلب والنزول من حقه فيما
يجب من التبجيل والتعظيم
للمشايخ واستعماله التواضع
(حكى) الرقى قال كنت
بمصر وكان فى المسجد جماعة
من الفقراء جلوسا فدخل
الزقاق فقام عند اسطوانة
يركع فقلنا يفرغ الشيخ من
صلاته ونقوم نسلم عليه
فلما فرغ جاء الينا وسلم
علينا فقلنا نحن كنا أولى

من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به (وفرقة أخرى) عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساؤا تأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى أمثلة فمن ذلك فتواهم بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا على طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الالمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب القلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوريا فأجابه لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد فقال اني أسأت اليك في أمر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني أذنبت اليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال الا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوريا ألا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في الآخرة فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلي الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به ان مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة

بهذا من الشيخ فقال ما عذب الله قلبي بهذا قط يعني ما تقيدت بان أحترم وأقصد * ومن آداب الشيوخ النزول الى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم (قال بعضهم) اذا رأيت الفقير القه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فاذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك الى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم * ومن آداب الشيوخ التعطف

فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع
وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه
وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص
من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون
لا يميزون بين الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل مالا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض
الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد للاستعانة
به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا
لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول
(الصنف الثاني) أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم
من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج
العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم (فمنهم فرقة) أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل
والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء
فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة
واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا
الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع
ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج
الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم
يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم
يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا أن الشيطان يصد الخلق عن الله
بطرق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك (وفرقة أخرى) غلب
عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج
الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون
صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم
ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد
والاحتياط فهم على خير عند ربهم (وفرقة أخرى) تغلب عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر
الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في
جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى أسراره
وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به
عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي
الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة
ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل (وفرقة
أخرى) اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه
يتردد في أودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه
ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن
أن المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه

فيه

على الاصحاب وقضاء حقوقهم
في الصحة والمرض ولا يترك
حقوقهم اعتمادا على
ارادتهم وصدقهم قال
بعضهم لا تضيع حق أخيك
بما بينك وبينه من المودة
(وحكى) عن الجريري قال
وافيت من الحج فابتدأت
بالجنيد وسلمت عليه وقلت
حتى لا يتعنى ثم أتيت منزلي
فلما صليت الغداة التفت
واذا بالجنيد خلفي فقلت
يا سيدي انما ابتدأت
بالسلام عليك لكيلا تتعنى
الى ههنا فقال لي يا أبا محمد هذا

والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن انما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سيأتى بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائى وأنا الى لقائهم أشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاوانى فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لاتدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الانسان وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التى لاجلها خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس فى أمور ويفارقهما فى أمور هى خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض أفق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا ككلب أو سنور أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد ومامن عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب * وجملة السعادة فى ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن فى مراعاة أعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو فى عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لأعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذى

فعلمت انه لايستند الى شئ أبدا (وقال) الجلالى البصرى التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لاتوحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لاشريعة له لا ايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الادب فمن لا أدب له لاشريعة له ولا ايمان له ولا توحيد (وقال) بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الادب باطنا الا عوقب باطنا قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت الى غلام أمرد فنظر الى الدقاق وأنا أنظر اليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال فوجدت غبها بعد عشرين سنة أن أنسيت القرآن (وقال) سرى صليت وردى ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب فنوديت ياسرى هكذا تجالس الملوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك لامددت رجلى أبدا وقال الجنيد فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولانهارا (قال عبد الله) بن المبارك

ضربنا

ضرب بناه أشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها اليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال أبي بن كعب رضي الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته)

اعلم أن الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من أمر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكأن المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه أن ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لاشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما

من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة (وسئل السري) عن مسئلة في الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعلت تضربه بابرتها فقيل له ألا تدفعها عن نفسك قال أستحي من الله أن أتكلم في حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) أنس بن مالك الادب في العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الادب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال أن تعامل الله سرا وعلنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت أعجميا ثم أنشد
اذا نطقت جاءت بكل مليحة * وان سكتت جاءت بكل مليح
وقال الجريري منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة فان حسن الادب مع

يقتضيه ويلتمسه مدققا بالفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان أنصف نفسه الاساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلاجرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ماهي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك

الله أحسن وأولى * وقال أبو علي ترك الادب موجب الطرد فمن أساء الادب على البساط رد الى الباب ومن أساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب

(الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لاهل القرب)

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه في الحضرة بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس في الاعراض والاقبال أعرض عما سوى الله وتوجه الى الله وترك وراء ظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت الى ما أعرض عنه ولا لحقه أسف على الغائب في اعراضه قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم فهذا

قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر أن جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

(بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما أن المتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لان عين الانسان لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة أمور * أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل * والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وان كان تام الشكل * والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة * والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة * والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه * والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها اذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليست المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم * الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف

انخطاب للعموم وما زاغ البصر إخبار عن حال النبي عليه السلام بوصف خاص من معنى ما خاطب به العموم فكان ما زاغ البصر حاله في طرف الاعراض وفي طرف الاقبال تلقي ما ورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فر من الله تعالى حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفراره في مطاوي انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط في البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فموسى عليه السلام صح له في الحضرة أحد طرفي ما زاغ البصر وما التفت الى ما فاته وما طغى متأسفا لحسن أدبه ولكن

فكره الى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك بمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقى * الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق * الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص وكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويراعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل لرسول الله يا رسول الله أين الله فى الارض أو فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع وفى الخبر أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى

امتلاء من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت الى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ماوصل اليها وضاق نطاقها فتجاوزالحد من فرط البسط وقال أرنى أنظر اليك فمنع ولم يطلق فى فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لارباب القرب والاحوال السنية فكل قبض يوجد عقوبة لان كل قبض سد فى وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الافراط فى البسط ولو حصل الاعتدال فى البسط ماوجبت العقوبة بالقبض والاعتدال فى البسط بايقاف النازل من المنح على الروح والقلب والايقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبى عليه السلام من تغييب النفس فى مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله الى الله وهو غاية الادب حظى به رسول الله عليه الصلاة

ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض
أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان
كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة عن مشاهدة
الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلانهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة
الى علم الله لانهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة
الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شئ سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما
يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في
الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وانما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها
تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد تزكيته حصول أنوار الايمان فيه أعني اشراق نور
المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله أفمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب (المرتبة الاولى) ايمان العوام وهو
ايمان التقليد المحض (والثانية) ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة
ايمان العوام (والثالثة) ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن
تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات * (الاولى) أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب
ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو
مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته
وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم
خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من
أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ
ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما
يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم ألقي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا
الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي اليهم كلمة الحق * (الرتبة الثانية) أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار
ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى
من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على
الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص
وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف
بطريق المحاكاة الا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس
والمحاكاة غرضا * (الرتبة الثالثة) أن تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية
والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم
ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير
العلوم وبدرجات الكشف أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت
اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له في صورته
ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة
للامور الالهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا
فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب

والسلام فما قوبل بالقبض
فدام مزيده وكان قاب
قوسين أو أدنى ويشاكل
الشرح الذي شرحناه قول
أبي العباس بن عطاء في قوله
تعالى ما زاغ البصر وما طغى
قال لم يره بطغيان ميل بل
رآه على شرط اعتدال
القوى وقال سهل بن عبد
الله التستري لم يرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى
شاهد نفسه ولا الى مشاهدتها
وانما كان مشاهدا بكليته
لربه يشاهد ما يظهر عليه
من الصفات التي أوجبت
الثبوت في ذلك المحل وهذا
الكلام لمن اعتبره وافق
لما شرحناه برمز في ذلك عن
سهل بن عبد الله ويؤيد
ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي اجازة قال أنا
الشيخ العالم عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد بن
منصور الصفار النيسابوري
قال أنا أبو بكر أحمد بن
خلف الشيرازي قال أنا
الشيخ أبو عبد الرحمن

(بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية)

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه والى علوم مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر وان كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر في العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى أوان التمييز والبلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر الى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان ولذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي * أما العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما أن العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية

السلمي قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن علي السراج قال أنا أبو الطيب العكي عن أبي محمد الجريري قال التسرع الى استدرار العلم الانقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة والملاذ بالهرب من سلم الدنو وصلة واستقباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الاقبال مساءة والاصغاء الى تلقي ما ينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقي جراءة والانبساط في محل الانس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفي قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وجه آخر ألطف مما سبق ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وما طغى لم يسبق البصر البصيرة ويتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع

جاهل

جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فاياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض فى الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه فى نفسه خيل اليه نقصا فى الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها بأوانى الدار فقال لهم ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاوانى فى مواضعها وانما أنت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم أحوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته الى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا أرضيت احداهما أسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة والاكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان أكثر أهل الجنة البله أى البله فى أمور الدنيا وقال الحسن فى بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التى تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية وانما تحصل فى القلب فى بعض الاحوال تختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدرى وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدرى العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب والاول يسمى الهاما ونفثا فى الروع والثانى يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذى قبله وهو

البصيرة والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم ففى تقدم النظر على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم وبالقدم حال القالب فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الاحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره فحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وأتى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء فى حديث المعراج فكان البراق بقالبه مشاكلا لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار فى حديث المعراج الى مقامات الانبياء ورأى فى كل سماء بعض الانبياء اشارة الى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته

المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه و بينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب و بين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ماهو مسطور في اللوح المحفوظ و يكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء و ينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم واذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا يكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يمحى أثره عن اللسان و يصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة و يبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى أن ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت وقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك

ورأى موسى في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله أرني أنظر اليك تجاوزا للنظر عن حد القدم وتخلفا للقدم عن النظر وهذا هو الاخلال بأحد الوصفين من قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فرسول الله صلى الله عليه وسلم مقترنا قدمه ونظره في حال الحياء والتواضع ناظرا الى قدمه قادما الى نظره ولو خرج عن حال الحياء والتواضع وتطاول بالنظر متعديا حد القدم تعوق في بعض السموات كتعوق غيره من الانبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم مستجلس حاله في خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت اليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط ما زاغ البصر وما طغى فمر كالبرق الخاطف الى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية في الادب ونهاية في الارب (قال) أبو محمد بن

وبعضها جسمانية وبعضها روحانية وبعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع أكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود الى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم أعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء اذا اجتمع في الانهار منع ذلك من التفجر في الارض وكما أن من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين * المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم اليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه أشار الحسن رحمة الله عليه

ببعض الاحوال والاشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالى أمر بالدعاء وانما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدنيوية حتى رفع له الحق مقاما في القرب وأذن له في الانبساط وقال اطلب مني ولو ملح عجينك فلما بسط انبسط وقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير لانه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال في الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظمات ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصري أدب العارف فوق كل أدب لان معروفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى من ألزمته

بقوله التراب لا يأكل محل الايمان بل يكون وسيلة وقربة الى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزائن المترعة غنى وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار لا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بأنوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد روى في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتد في ميدانه والذى أعطى نورا على ابهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا أيضا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كالشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه ولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة دراهم الى الغنى الذى يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد)

اعلم أن من انكشف له شئ ولو الشئ اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد

القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الادب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الادب أو العطب وقول القائل هذا يشير الى أن الاسماء والصفات تستقل بوجود محتاج الى الادب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالانوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفى ذلك العطب نهاية الادب (وقال) أبو على الدقاق فى قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال لم يقل ارحمنى لانه حفظ أدب الخطاب وقال عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل لم أقل رعاية لادب الحضرة * وقال أبو نصر السراج أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات

لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله
عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه
فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات
والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله
عليه وسلم يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل لي
في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي
وعظامي وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا
الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه
وسلم الينا الا أن يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة
من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان
أبو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على
ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور
الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون
وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع
وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم
يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ
ابن عباس رضي الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم
والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح
بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض
لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان أبو يزيد وغيره
يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي
وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع أن كل علم
من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير
سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج
عن الحصر * وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن
بعدهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته انما هما أخواك وأختاك وكانت
زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته يا سارية
الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات
العظيمة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي
فنظرت اليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل علي أحدكم وآثار الزنا ظاهرة
على عينيه أما علمت أن زنا العينين النظر لتتوبن أو لأعزرنك فقلت أوحي بعد النبي فقال لا ولكن بصيرة
وبرهان وفراسة صادقة وعن أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في

الى الخواطر والعوارض
والبوادي والعوائق
واستواء السر والعلانية
وحسن الادب في موقف
الطلب ومقامات القرب
وأوقات الحضور والادب
أدبان أدب قول وأدب فعل
فمن تقرب الى الله تعالى بأدب
فعله منحه محبة القلوب
(قال ابن المبارك) نحن الى
قليل من الادب أحوج منا
الى كثير من العلم وقال أيضا
الادب للعارف بمنزلة التوبة
للمستأنف * وقال النوري
من لم يتأدب للوقت فوقته
مقت وقال ذو النون اذا
خرج المريد عن حد
استعمال الادب فانه يرجع
من حيث جاء وقال ابن
المبارك أيضا قد أكثر
الناس في الادب ونحن
نقول هو معرفة النفس
وهذه اشارة منه الى ان
النفس هي منبع الجهالات
وترك الادب من مخامرة
الجهل فاذا عرف النفس
صادف نور العرفان على
ما ورد من عرف نفسه فقد

نفسي هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى ألطافا خفية وقال أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما أنا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشئ الا دفعته الى أول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال وقمت فأخذتها وخرجت واذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناتي واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناتي هذا مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدني سبع فعدت الى أبي الخير وقلت قصدني سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد * وما حكي من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الاصل أنكر التفصيل * والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران * أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه * الثاني أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب الى خارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا أقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة وذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيأ من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك

عرف ربه ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بآداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر

(الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها)

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات بالماء قال الكلبي هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء لما نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور فماهو قالوا انا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله اذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان

الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدري فنظرت الى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك فاذا هو أعلم منهما وكأن هذا هو معنى قوله عليه السلام ان في أمتي محدثين وان عمر منهم وفي الأثر ان الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الأعلى ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تنجلي لهم أمور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه في مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثله أيضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال أما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا أدرك بالحواس شيأ حصل منه أثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب أثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار وأعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر أعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير أعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم أعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق

الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة فقال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أنا أبو منصور الحريمي قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة (والفرض) في

الخالق للازواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من
الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر
وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم
من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب
القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فالله
يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة
التقلب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك
تتعاطى الافعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب
القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول
آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى
والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط
الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان
جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم
ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة
عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم
من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا الا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر الا بخير وانما كان
هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي
والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب
ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل
الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى
أن ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود
الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع
الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته
بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد في
صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا
وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت
من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن
العاص للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له
خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء
شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس
به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق
به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا
يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى

الاستنجاء شيآن ازالة
الخبث وطهارة المزيل وهو
ان لا يكون رجيعا وهو
الروث ولا مستعملا مرة
أخرى ولا رمة وهي عظم
الميتة ووتر الاستنجاء سنة
فثلاثة أحجار أو خمس أو
سبع واستعمال الماء بعد
الحجر سنة وقد قيل في الآية
يحبون أن يتطهروا ولما
سئلوا عن ذلك قالوا كنا
نتبع الماء الحجر والاستنجاء
بالشمال سنة ومسح اليد
بالتراب بعد الاستنجاء سنة
وهكذا يكون في الصحراء
اذ كانت أرضا طاهرة وترابا
طاهرا * وكيفية الاستنجاء
ان يأخذ الحجر بيساره
ويضعه على مقدم المخرج
قبل ملاقاة النجاسة ويمده
بالمسح ويدير الحجر في مره
حتى لا ينقل النجاسة من
موضع الى موضع يفعل ذلك
الى أن ينتهي الى مؤخر
المخرج ويأخذ الثاني ويضعه
على المؤخر كذلك ويمسح
الى المقدمة ويأخذ الثالث
ويديره حول المسربة وان

قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من أحد إلا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت وقد دل ذلك على أنه عن سبب لا محالة وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك

سبعة بحجر ذي ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أوله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق لئلا ينفذ فوق بقية البول ثم ينتره ثلاثا ويحتاط في الاستبراء بالاستنقاء وهو أن يتنحنح ثلاثا لأن العروق ممتدة من الحلق إلى الذكر وبالتنحنح تتحرك وتقذف ما في مجرى البول فإن مشى خطوات وزاد في التنحنح فلا بأس ولكن يراعي حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لا يرى الرطوبة وشبهه بعضهم الذكر بالضرع وقال لا يزال تظهر منه الرطوبة ما دام يمد فيراعي الحد في ذلك ويراعي الوتر في ذلك أيضا والمسحات تكون على الأرض الطاهرة أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر أصغره فليأخذ الحجر باليمين والذكر باليسار

رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره باطيف الحيل الى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روى أن ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لان له أيضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور وفي آخر هذا الربع ولعلنا ان أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لاسيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون أي ينكشف لهم الاشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي أعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدافع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما أشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة

ويمسح على الحجر وتكون الحركة باليسار لا باليمين لئلا يكون مستجمرا باليمين واذا أراد استعمال الماء انتقل الى موضع آخر ويقنع بالحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما هذا فكان لا يستبرئ أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد واذا كان في الصحراء يبعد عن العيون * روى جابر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام كان اذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد وروى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال كنت مع

وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى
في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة
والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن
يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض
من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر
مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند
الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له
مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل
ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها
فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه به فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب
أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء
منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن
الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما
يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد
ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الامور واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه

(بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على
حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من
لا يدري أبوابه فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل
الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله
واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى
الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان * فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول
العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي
بالكرة فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه ابليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك
تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي الى ربي أن يتوب علي فقال موسى نعم فلما
صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أد الامانة فقال موسى يا رب عبدك ابليس يريد
أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى الى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه
فلقي موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم
أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك
فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم اذكرني اذا غضبت

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فابعد في المذهب وروى ان النبي عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط أو نشز من الارض أو كوم من الحجارة ويجوز أن يستتر الرجل براحلته في الصحراء أو بذيله اذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول في أرض دمثة أو على تراب مهيل قال أبو موسى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يبول فأتى دمثا في أصل جدار فبال ثم قال اذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله وينبغي أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والاولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء الى كراهية ذلك في البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض ويتجنب مهاب

عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي أن
تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج
الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى فقد روى انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين
ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض
فلم يجد شيأ ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة
ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايسوا من أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى
آدم من قبل العجلة والخفة * ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض
والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب
فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار أخرى
فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه
صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشترى دارا يعمرها وليشترى جارية وليشترى أثاث البيت وليشترى
الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيأ آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية آخرها عمق جهنم فلا
آخر لها سواه * قال ثابت البنانى لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر
فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤا وقالوا ما ندرى قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين
ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم ابليس رويدا
بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروى ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به
ابليس فقال يا عيسى رغبت فى الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع
الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه
فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى أن
يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك بباله ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا فى حجر فكيف بمن يملك المخاد
المثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر
فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الأليم هو الموعود
للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبنى ابن آدم غلبة فلن
يغلبنى على ثلاث ان آمره أن يأخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس
للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن
السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هى معشش الشياطين وقال أبو
امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب أنزلتنى الى الارض وجعلتنى
رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال اجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لى طعاما قال طعامك
ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرآنا قال
الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل لى مصايد قال النساء * ومن
أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك
مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات
السبعية فاذا خيل اليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل
همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشياطين فترى الواحد منهم

واذا كان فى البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى قال أنا أبو منصور المقرى قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمر الهاشمى قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود قال ثنا عمرو هو ابن مرزوق البصرى قال ثنا شعبة عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل ان تتخذ الكنف فى البيوت وقوله محتضرة أى يحضرها الشياطين وفى الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا

يتعصب

يتعصب لابي بكر الصديق رضي الله وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع
الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوله اذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ مابين لحييه وكان
من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعي
ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته ونرى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس
في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغ ونرى الفاسق لابسا ثياب الحرير ومتجملا
بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت
شعري من أخذ ولدا أعز الانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه
بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب
الى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الاهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون
لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى عدو الله ابليس
وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء
وعرف هؤلاء ماتحبه الصحابة في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع
قبح أعمالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر أنه
اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي
بضعة منه اعملي فاني لا أغني عنك من الله شيأ وهذا مثال أوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي
وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام
هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل
لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله
تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت
المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع
حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد
الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا
وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم * وقال الحسن بلغنا أن ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم
المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهواء وقد صدق
الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها * ومن عظيم حيل
الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله
ابن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى
رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله
تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم * ومن أبوابه حمل العوام
الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى
يشككهم في أصل الدين أو يخيل اليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به
فرح مسرور ومبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله
فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من
العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك
فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب

يتولع بيده ولا يخط في
الارض والحائط وقت قعوده
ولا يكثر النظر الى عورته
الا للحاجة الى ذلك ولا
يتكلم فقد ورد أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يخرج الرجلان يضربان
الغائط كاشفين عن عورتهما
يتحدثان فان الله تعالى يمقت
على ذلك ويقول عند
خروجه غفرانك الحمد لله
الذي أذهب عني ما يؤذيني
وأبقى علي ما ينفعني ولا
يستصحب معه شيأ عليه اسم
الله من ذهب وخاتم وغيره
ولا يدخل حاسر الرأس
روت عائشة رضي الله عنها
عن أبيها أبي بكر رضي الله
عنه أنه قال استحيوا من الله
فاني لادخل الكنيف فالزق
ظهري وأغطي رأسي
استحياء من ربي عز وجل

(الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره)

اذا أراد الوضوء يبتدئ
بالسواك (حدثنا) شيخنا
أبو النجيب قال أنا أبو عبد
الله الطائي قال أنا الحافظ

عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما أردنا بما أوردناه المثال * ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في اكرامه وينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روى عن علي بن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد واني خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهم حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه نعم اذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص بذلك المتقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والآيات الواردة في الذكر قال أبو هريرة التقى شيطان

الفراء قال أنا أبو عبد الواحد ابن أحمد المليحي قال أنا أبو منصور محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد بن زنجويه قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن زيد ابن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان أشق على أمتي لاخرت العشاء الى ثلث الليل وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروت عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الازم امساك الاسنان بعضها على بعض وقيل

المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال
شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل اذا أكل سمى الله فأظل جائعا واذا شرب سمى
الله فأظل عطشانا واذا لبس سمى الله فأظل عريانا واذا ادهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل
شيأ من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه* وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك
سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا
كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شيء قدير قال فتمثل له ابليس يوما
في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا ابليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم
أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك قال والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى
قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا
يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج
في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا
طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه* وقال الحسن نبئت أن جبرائيل عليه السلام
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي
وقال صلى الله عليه وسلم لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى
وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحا في المسجد وقال صلى الله عليه
وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير الذي سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى
الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي
الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة ويطمع
ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن
الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية
عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله
ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث
قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين
فانظر الى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك اذا كنت في
صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في أودية الدنيا
ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا
صليت فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا
جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر
فان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من
عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي
أنت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما
ان الله تعالى قال ادعوني أستجب لكم وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان
منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعوني
أستجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي أماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم
القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم

للسكوت أزم لأن الاسنان
تنطبق وبذلك يتغير الفم
ويكره للصائم بعد الزوال
ويستحب له قبل الزوال
وأكثر استحبابه مع غسل
الجمعة وعند القيام من الليل
ويندى السواك اليابس
بالماء ويستاك عرضا وطولا
فان اقتصر فعرضا فاذا فرغ
من السواك غسله ويجلس
للوضوء والاولى ان يكون
مستقبل القبلة ويبتدئ
بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول رب أعوذ بك من
همزات الشياطين وأعوذ
بك رب أن يحضرون ويقول
عند غسل اليد اللهم اني
أسألك اليمن والبركة
وأعوذ بك من الشؤم
والهلكة ويقول عند
المضمضة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعني على
تلاوة كتابك وكثرة الذكر
لك ويقول عند الاستنشاق
اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد وأوجدني رائحة الجنة
وأنت عني راض ويقول
عند الاستنثار اللهم صل

تستعد وله وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار
وارهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم
وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة
شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم أنه لا حاجة لك الى معرفته في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل
عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في شواهد الاخبار
انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول
ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار
وسواد الدخان وأما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره
ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم
الخدود ودعوى الجاهلية وأما الاعور فانه صاحب الزنا يأمر به ويزينه وأما مسوط فهو صاحب الكذب وأما
داسم فانه يدخل مع الرجل الى أهله يريهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم وأما زلنبور فهو صاحب السوق
فبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك أخبار
كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة
واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به وقد قال أبو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل
بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن
قصعة العسل في اليوم الصائف ومالو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغر فاه ولو وكل العبد
الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال أيوب بن يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الانس من أبناء
الجن ثم ينشؤن معهم وروى جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض قال يارب هذا الذي
جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يارب زدني قال
اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال
ابليس يارب هذا العبد الذي كرمته على ان لم تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال يارب
زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك الى
قوله غرورا وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة أصناف
صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله
تعالى الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم
آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح
الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن ابليس تمثل
ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال اني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن اخبرني عن بني آدم
قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم وهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه
فيفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نيأس منه
ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم
نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فان
قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو
مثال يتمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في
مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة

صورتهما

على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ويقول عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم اني أعوذ بك أن تؤتيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري وعند مسح الرأس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك ويقول عند مسح الاذنين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يستمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار ويقول في مسح العنق اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من

٣ قوله لهما صورتان هي حقيقة الخ هكذا في الاصل الذي بايدينا ولعل في العبارة سقطا يعلم بالبداهة فليتأمل اه

صورتهما لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بأنوار النبوة فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته الا مرتين وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملك والشهادة لان أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على مثال خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهي من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

(بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك

السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول عند اليسرى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين واذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا * وفرائض الوضوء النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وحد الوجه من

يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا أصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نفسي تحدثني أن اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا خصاء أمتي دؤب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وحيث قال فان لم يعملها أراد به تركها لله فأما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم

مبتدأ أسطح الوجه الى منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الاذن الى الاذن عرضا ويدخل في الغسل البياض الذي بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء الى شعر التحذيف وهو القدر الذي يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء الى العنفقة والشارب والحاجب والعذار وما عدا ذلك لا يجب ثم اللحية ان كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين (الواجب الثالث) غسل اليدين الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين في الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت الاظافر حتى

يعملها والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وهذا نص فى انه صار بمجرد الارادة من أهل النار مع انه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذى لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجرى على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا أى ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب وقال البر ما اطمأن اليه القلب وان أفتوك وأفتوك حتى انا نقول اذا حكم القلب المفتى بايجاب شئ وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلى فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت أجنبية فان ظن انها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين فى صفاتها وعجائبها اختلفوا فى هذه المسئلة على خمس فرق *فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لانه عليه السلام قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فكأنه يسكت *وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجرى فى القلب ولا يكون له أثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه *وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر فى لحظة وينعدم الذكر فى لحظة ويتعاقبان فى أزمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهى كالكرة التى عليها نقط متفرقة فانك اذا أدرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان فى الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بعينيه شيئين فى حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر دينه والى هذا ذهب المحاسبى والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه *والوسواس أصناف (الاول) أن يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد

خرجت من رؤس الاصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح (الواجب الرابع) مسح الرأس ويكفى ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو ان يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى الموضع الذى بدأ منه ويلصق بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا *والواجب الخامس* غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين فى الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف الساقين ويقنع غسل القدمين مع الكعبين ويجب تخليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وان كان فى الرجل شقوق يجب ايصال الماء الى باطنها وان ترك فيها عجينا أو شحما يجب ازالة عين ذلك الشئ *الواجب

يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة (الصنف الثاني) أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة (الصنف الثالث) أن تكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغالبة والتذكر في غير الصلاة مثلا فاذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا أنه متصور لما ذكره الا أنه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه واذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر واذا تأملت جملة هذه الاقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي أنه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به الى أبي جهم وائتوني بانبجانيته وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد أو كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخالبه في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم وان أبى خفف عليه

السادس * الترتيب على النسق المذكور في كلام الله تعالى * الواجب السابع التتابع في القول القديم عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء * (وسنن الوضوء ثلاثة عشر) التسمية في أول الطهارة وغسل اليدين الى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما لغير صائم فيغرغر في المضمضة حتى يرد الماء الى الغلصمة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس الى الخياشيم ويرفق في ذلك ان كان صائما وتخليل اللحية الكثة وتخليل الاصابع المنفرجة والبداءة بالميامن واطالة الغرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الاذنين والتثليث وفي القول الجديد التتابع ويجتنب أن يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء مستحب

فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط امساك قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان (القلب الثالث) قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم وينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعني التقليب والانتقال من حزب الى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي أيضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله

الشهادة فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة (وحكى) عن الحصري انه قال مهما أنتبه من الليل لا يحملني النوم الا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا يعود الي النوم وأنا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ علي بن الهيتي انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لا أكون أسأت الادب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين (وروى) أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا في الاسلام أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار الا صليت لربي عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي * ومن أدبهم في

فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روي عن نبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق * تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى

*(كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلب
وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر وديا جيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره (أما بعد) فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما أن الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد وأين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم الى تشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له

الطهارة ترك الاسراف في الماء والوقوف على حد العلم (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أخبرنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو داود قال حدثنا خارجة بن مصعب عن يونس ابن عبيد عن الحسن عن يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء قال أبو عبد الله الروذباري ان الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه (وحكي) عن ابن الكرنبي انه أصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء الى

أقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أي الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن أسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لأحسن الاخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف

عني

الدجلة وكان برد شديد فرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت ان لا أنزعها من بدني حتى تجف علي فمكثت عليه شهرا لثخانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عن الائتمار لامر الله تعالى (وقيل) ان سهل بن عبد الله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الارض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف النفس واماتة الشهوات وكسر القوة ومن أفعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء للوضوء (قيل) كان ابراهيم الخواص اذا دخل البادية لا يحمل معه الا الركوة من الماء وربما كان لا يشرب منها الا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل انه كان يخرج من مكة الى الكوفة ولا يحتاج الى التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب

عني سيئها الا أنت وقال أنس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا أباذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس قال قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما هي تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف في العبادة وروى ان عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه مم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق ان يهبنك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم (الآثار) قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا أبت أي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق * وصحب ابن المبارك رجل سيئ الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد الى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيآت وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز ان أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فاقرب الخلق الى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى

* وقيل اذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة أو كوز فاعلم انه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبي وحكي عن بعضهم انه أدب نفسه في الطهارة الى حد انه أقام بين ظهراني جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لانه كان يقضي حاجته اذا خلا الموضع في وقت يريد تأديب نفسه وقيل مات الخواص في جامع الري في وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان ابراهيم بن أدهم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين وقيل ان بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا في وقت البراز يراعي الادب في الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا

ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى وقال الواسطى هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرمانى هو كف الأذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو ارضاء الخلق فى السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا يتهم الحق فى الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الامور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس وقال على رضى الله عنه حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه اذ قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها فعل الجميل والقبيح والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك فى الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وأما قوة الغضب فحسنها فى أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت اشارة الحكمة أعنى اشارة العقل

والشرع

ان الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر قال أنا أبو محمد قال أنا أبو العباس قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا سفيان ابن وكيع قال حدثنا عبد الله بن وهب عن زيد بن حباب عن أبى معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء * وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية فى تطهير البواطن من الصفات الرديئة والاخلاق المذمومة لا الاستقصاء فى طهارة الظاهر الى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحترزون

والشرع وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا أمهات الاخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون أن الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض وأما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وايثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والطاعة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها الى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الاول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب اليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد أشار القرآن الى هذه الاخلاق

عن الحجر وأجرى الامر على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الارض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الاوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم في الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون في بعض الاشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا يبالي بما في باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لوداس الارض حافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينكر عليه أن يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة

في أوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فالايمان بالله و برسوله من غير ارتياب هي قوة اليقين وهي ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه و بيان أركانه وثمراته وفروعه

(بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازي من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والتخلية والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات و بالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وتمامه والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا و وصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول و بعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب و بعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له و باعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب *الاولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان* والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره

الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك في الاستبراء لانه ربما يسترخي العرق ولا يمسك البول و يتولد منه القطار المفرط (ومن حكايات) المتصوفة في الوضوء والطهارات ان أباعمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم و يخرج الى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتى عشرة سنة لان الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فحملوا اليه المداوى و بذلوا له مالا كثيرا ليداوى به فقال المداوى يحتاج الى ترك الوضوء أياما و يكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

(الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها)

(روى) عن عبد الله بن

في محله فأمره أصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولا من كثرة الاعتياد
للفساد والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد
وتشمير وحزم * والثالثة أن يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى
عليها فهذا تكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال * والرابعة أن
يكون مع النشوء على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس
ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن
التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق
والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الآدمي مادام
حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن
المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية
في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب
بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي
يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى
الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن
التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى أشداء على
الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف
يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه وسلم انما أنا
بشر أغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا
فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل
والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون
العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان
بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل أن ذلك
ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون
الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين وقال في الغضب أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور
أوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى
الا من أتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون
سليما منهما أي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على
الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب الى الامساك فكان كمال
القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وأبعد عن
الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين
التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي
الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم

عباس رضي الله عنهما
أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
خلق الله تعالى جنة عدن
وخلق فيها ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر قال لها تكلمي
فقالت قد أفلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم
خاشعون ثلاثا وشهد
القرآن المجيد بالفلاح
للمصلين وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتاني
جبرائيل لدلوك الشمس حين
زالت وصلى بي الظهر
واشتقاق الصلاة قيل من
الصلي وهو النار والخشبة
المعوجة اذا أرادوا تقويمها
تعرض على النار ثم تقوم
وفي العبد اعوجاج لوجود
نفسه الامارة بالسوء وسبحات
وجه الله الكريم التي لو
كشف حجابها أحرقت من
أدركته يصيب بها المصلي
من وهج السطوة الالهية
والعظمة الربانية ما يزول
به اعوجاجه بل يتحقق به
معراجه فالمصلي كالمصطلي
بالنار ومن اصطلى بنار

امساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وان امساكه بحق

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين * أحدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم * والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الافعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والاخلاق أقوى وأرسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب اليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة الى حد تصير هي قرة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار ربما سلبه

الصلاة وقال بها أوجاجه لا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضي الدين أحمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس بن محمد بن أبي العباس الخليلي قال أنا أبو سعيد الفرخزاذي قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن قال أنا أبو زكريا يحيى ابن محمد العنبري قال ثنا جعفر بن احمد بن الحافظ قال أنا أحمد بن نصير قال ثنا آدم بن أبي اياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدني عبدي فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدي

الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة الا ولها أثر وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

(بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق)

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك اليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة

او

كيف يصلي وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والغافل يصلي لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت الذين هم في صلاتهم خاشعون جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما رئي بعد ذلك أحد منهم ينظر الا الى الارض وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا قام الى الصلاة فانه بين يدي الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ابن آدم أقبل الي فانا خير لك ممن تلتفت اليه وأبصر رسول

أو برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فاذا عرف ذلك التفت الى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج الى الاسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنما فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيأ سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الارادة أنفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكي عن بعضهم انه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان

الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليت فصل صلاة مودع فالمصلي سائر الى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شئ سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكأن المصلي يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب في الهيآت تقلبات متضرع سائل محتاج فاذا دعا بكليته أجابه مولاه لانه وعده فقال ادعوني أستجب لكم كان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الآية ادعوني أستجب لكم أمرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هي نفوذ دعاء العبد فان الداعي الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه فتخرق الحجب وتقف الدعوة

ذلك سيأتى فى بقية الكتب وانما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلمة واحدة فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى أن يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

*(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة)

اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التى للآدمى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار أو غيرها بل بمعرفة الاشياء على ماهى عليه وأصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذى جعلها أشياء فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيأ وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم الى قوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره فمن عنده شئ أحب اليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب اليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة الا ماشاء الله الا أن من الامراض مالا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الامراض وأما علامات عودها الى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر فى العلة التى يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفى غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذى يوجبه الخلق المحذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذى يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون امساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد فى المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة

بين يدى الله تعالى متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه الامة بانزال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع الى الاجابة وهى تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم قيل سميت مثانى لانها انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثانى لانها استثنيت من الرسل وهى سبع آيات * وروت أم رومان قالت رآنى أبو بكر وأنا أتميل فى الصلاة فزجرنى زجرا كدت أن أنصرف

محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عنده البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما
عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشئ مما يتعلق بالدنيا
حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوفة الى أسبابها فعند ذلك ترجع
الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو
أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا
الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل الى أحد الجانبين
فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق
قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كان قربهم الى
الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل
يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روي أن بعضهم
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام
لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في
القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال
الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على
الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف
العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى
الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق (الاول) أن يجلس بين يدي شيخ بصير
بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع
شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان
وجوده *(الثاني) أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما
كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من
أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما
قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة
وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل
حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيأ من آثار النفاق
فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا
كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب
أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب
عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط
الناس فقال وماذا أصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا للعيوب بتنبيه
غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى ان أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون
مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا

عن صلاتي ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا قام أحدكم
الى الصلاة فليسكن أطرافه
لا يتميل تميل اليهود فان
سكون الاطراف من تمام
الصلاة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعوذوا
بالله من خشوع النفاق قيل
وما خشوع النفاق قال
خشوع البدن ونفاق القلب
فاما تميل اليهود قيل كان
موسى يعامل بني اسرائيل
على ظاهر الامور لقلة ما في
باطنهم فكان يهيئ الامور
ويعظمها ولهذا المعنى
أوحى الله تعالى اليه ان
يحلي التوراة بالذهب ووقع
لي والله أعلم ان موسى كان
يرد عليه الوارد في صلاته
ومحال مناجاته فيموج به
باطنه كبحر ساكن تهب
عليه الريح فتتلاطم الامواج
فكان تمايل موسى عليه
السلام تلاطم أمواج بحر
القلب اذا هب عليه نسمات
الفضل وربما كانت الروح
تتطلع الى الحضرة الالهية

لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإبعادها وقتلها وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب *قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا أطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر *وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد

فتهم بالاستعلاء والقالب بها تشبث وامتزاج فيضطرب القالب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم أن الله تعالى أوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر فبالصلاة تحقيق العبودية وأداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل

تجتهد من كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوة ومن قلة المنام صفو الارادة ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل وروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباء مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا رأى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما أمنعك الا من كرامتك على فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشئ مما لا يوجد فى القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه انس به وألفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له فى الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا فى

لتكميل السنن ويحتاج الى الآداب لتكميل النوافل ومن الادب ترك الدنيا والذى ذكره سهل هو معنى ما قال عمر على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وقد ورد فى الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلى من يناجى ما التفت أو ما انفتل وقد جعل الله تعالى للمصلين فى كل ركعة ما فرق على أهل السموات فلله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله لا يرفعون من الركوع الى يوم القيامة وهكذا فى السجود والقيام

ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثانى رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر فى قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى فى قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المعاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتى ذلك فى كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت مرة فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا فتركته ومضيت وقال السرى أنا منذ أربعين سنة تطالبنى نفسى أن أغمس خبزة فى دبس فما أطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات فى الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمى البصر الى كل شئ جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذى يشتهى به الحلال هو بعينه الذى يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم فى الدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذى لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا أن النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب فى عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازى اذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش الى الانقياد والتأديب فانه يحبس أولا فى بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة ولا يحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا فى الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر

والقعود والعبد المتيقظ يتصف فى ركوعه بصفة الراكعين منهم وفى السجود بصفة الساجدين وفى كل هيئة هكذا يكون كواحد منهم وبينهم وفى غير الفريضة ينبغى للمصلى أن يمكث فى ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه فان طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع الحق أنه ان سبق همه فى حال الركوع أو السجود الى الرفع منه ما وفى الهيئة حقها فيكون همه الهيئة مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان السرعة التى يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف فى مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتنمحى آثاره بحسن الاسترسال

الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية
كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد
نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر عليه
وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف
اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع
عن السراح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد
فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل
بكل ما يزايلها بالموت اذ قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقه فاذا علم ان من أحب شيأ يلزمه فراقه ويشقى
لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر
أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في
سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة أو دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد أقل من الشهر بالاضافة الى
عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله علي
رضي الله عنه وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والاصل فيه أن يترك
كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء
والولاية أو بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه ان منع عن شئ من ذلك
فقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك
في حقه ثم اذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى
والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا
ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه
أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو
الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن
الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق * قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في
صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون
الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله
أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما الى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات
علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض
فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة
وأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره
وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق
فقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا
وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن أن

و يستقر في مقعد الوصال
(وقيل) في الصلاة أربع
هيآت وستة أذكار فالهيآت
الاربع القيام والقعود
والركوع والسجود والاذكار
الستة التلاوة والتسبيح
والحمد والاستغفار والدعاء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فصارت
عشرة كاملة تفرق هذه
العشرة على عشر صفوف من
الملائكة كل صف عشرة
آلاف فيجتمع في الركعتين
ما يفرق على مائة ألف من
الملائكة

*(الباب السابع والثلاثون
في وصف صلاة أهل
القرب)*

ونذكر في هذا الفصل
كيفية الصلاة بهيآتها
وشروطها وآدابها الظاهرة
والباطنة على الكمال بأقصى
ما انتهى اليه فهمنا وعلمنا
على الوجه مع الاعراض
عن نقل الاقوال في كل شئ
من ذلك اذ في ذلك كثرة
ويخرج عن حد الاختصار
والايجاز المقصود فنقول
وبالله التوفيق ينبغي للعبد
أن يستعد للصلاة قبل

يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما أن يفشي على أخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو أن يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يمشي ومعه أنس فأدركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضي الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر باعطائه ولما أكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم أحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم ويحكى أن ابراهيم بن أدهم خرج يوما الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار الى المقبرة فقال الجندي انما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم فنزل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال انه لم يسألني عبد من أنت بل قال أنت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت انني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي أبو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فانكب على رجليه وقال يا أستاذ انما أردت ان اختبرك فما أحسن خلقك فقال ان الذي رأيته مني هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعي أجاب واذا زجر انزجر وروي عنه أيضا انه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيأ فقيل ألا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب انتهى وروي أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل الى السواد اذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان اذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقي الى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم واحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع

دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج في معرفة الوقت الى الزوال وتفاوت الاقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بان الظل ما دام في الانتقاص فهو النصف الاول من النهار فاذا أخذ الظل في الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس واذا عرف الزوال وان الشمس على كم قدم تزول يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج الى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج ان يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة ففي ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما بلي به من المخالطة مع الناس وقيامه بمهام المعاش أو سهو جرى بوضع الجبلة أو صرف همه الى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب باطنه الى

مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه بسم الله عند أخذه وان يأكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وان لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بأن يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الاغلب رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولاسيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه ولا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا تعود ترك فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيأ بدا له حشمة ان كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا وينبغي ان يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع

والاستفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه الى القبلة وتخصيص جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه عند شحمة اذنيه ورؤس الاصابع مع الاذنين ويضم الاصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيل النشر نشر الكف لا نشر الاصابع ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر وراثه ألفا ويجزم أكبر ويجعل المد في الله ولا يبالغ في ضم الهاء من الله ولا يبتدئ بالتكبير الا اذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نفض فالوقار اذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتأيدت بالاولى والاصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلي الصلاة بعينها (وحكى) عن الجنيد أنه قال لكل

كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعوّد أن لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوّف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فهما قارب البلوغ أمكن ان يعرّف أسرار هذه الامور فيذكر له أن الاطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وان الدنيا كلها لا أصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزوّد من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشوء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الامور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فانظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الى الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وناظرا اليه وشاهده أيعصيه اياك والمعصية فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لأخشى أن يتفرق عليّ همي ولكن شارطوا المعلم اني أذهب اليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتّاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي ان يبعثوني الى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا أدم فكان

شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الاولى وانما كانت التكبيرة صفوة لانها موضع النية وأول الصلاة
* قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدوّ ونصيب العدوّ وان كثر لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وان قل (وسئل) أبو سعيد الخراز كيف الدخول في الصلاة فقال هو ان تقبل على الله تعالى اقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الاولى فقال ينبغي اذا قلت الله أكبر ان يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الالف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من الناس من اذا قال الله

يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة)

واعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة فى الخرزة وقويت ارادته فى بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهى قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدرى من الجوهرة الا لفظها واما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا ألف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا فى شهواتهم وغاصوا فى رقدتهم وليس فى علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق بجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لامحالة فان تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له ارادة فى حرث الآخرة وتجارتها فينبغى ان يعلم انه له شروطا لابد من تقديمها فى بداية الارادة وله معتصم لابد من التمسك به وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لابد من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق* أما الشروط التى لابد من تقديمها فى الارادة فهى رفع السد والحجاب الذى بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فمادام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص فى تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليدا فينبغى ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لامن المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق فى نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين أصلا وأما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على مامضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لابد من تقديمها أولا ثم الترقى منها الى أسرار معانيه فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا ثم الترقى الى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدى به

أكبر غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء وامتلأ باطنه نورا وصار الكون بأسره فى فضاء شرح صدره كخردلة بأرض فلاة ثم تلقى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فالقيت فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية غير انه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة فى نور العظمة اندراج الكوكب فى ضوء الشمس ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلهما بين السرة والصدر واليمنى لكرامتها تجعل فوق اليسرى ويمد المسبحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين* وقد

لامحالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لامحالة فمن سلك سبل البوادى المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها ستجف على القرب وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ولا يخالفه فى ورده ولا صدره ولا يبقى فى متابعته شيأ ولا يذر وليعلم ان نفعه فى خطأ شيخه لو اخطأ أكثر من نفعه فى صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور * الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه وأما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التسترى ما صار الابدال ابدالا الا بأربع خصال باخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع فى تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتى بيان وجه التدريج فيه فى كتاب كسر الشهوتين وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوّره فيضاف ذلك الى الصفاء الذى حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل فى صفة الابدال ان أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء * وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغى ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى * وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليزا القلب والقلب فى حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد فى كل حال أكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة فى بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه فى جيبه أو يتدثر بكساء أو ازار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب فى قطعها أن يشتغل بالاسهل فالاسهل وهى تلك الصفات أعنى أسرار العلائق التى قطعها فى أول الارادة وآثارها أعنى المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوّف الى المعاصى فلابد أن يخلى الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا

فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى فصل لربك وانحر قال انه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحر أى استقبل القبلة بنحرك وفى ذلك سر خفى يكاشف به من وراء أستار الغيب وذلك ان الله تعالى بلطيف حكمته خلق الآدمى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما فى أرضه وسمائه روحانيا وجسمانيا أرضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الاعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ونصفه الاسفل مستودع أسرار الارض فمحل نفسه ومركزها النصف الاسفل ومحل روحه الروحانى والقلب النصف الاعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان وباعتبار تطاردهما

كفى ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد ذلك يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير
الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها
أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال
الشبلي للحصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها الى الجمعة الاخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك
ان تأتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة
العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له
بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى
يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا
يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال
يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب
حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لان
القلب اذا اشتغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن
غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى
من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان
أيضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من
هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر
تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك
ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان
يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه
عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه
بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة أو نشاط أو التفات الى علقة أو صدق في ارادة فينبغي أن يظهر ذلك
لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فان علم انه
لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف
في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع بما
يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك
الطريق ومواضع أخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع
عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق
الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان
أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي أصل الايمان وظاهر
الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ
أن يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال
الظاهرة والاوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف
القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ
درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف

له

وتغالبهما تكون لمة
الملك ولمة الشيطان ووقت
الصلاة يكثر التطارد لوجود
التجاذب بين الايمان والطبع
فينكشف المصلي الذي صار
قلبه متساويا مترددا بين
الفناء والبقاء لجواذب
النفس متصاعدة من
مركزها وللعوارض
وتصرفها وحركتها مع معاني
الباطن ارتباطا وموازنة
فبوضع اليمين على الشمال
حصر النفس ومنع من
صعود جواذبها او أثر ذلك
يظهر بدفع الوسوسة وزوال
حديث النفس في الصلاة ثم
اذا استولت جواذب الروح
وتملكت من الفرق الى
القدم عند كمال الانس
وتحقق قرة العين واستيلاء
سلطان المشاهدة تصير
النفس مقهورة ذليلة
ويستنير مركزها بنور
الروح وتنقطع حينئذ
جواذب النفس وعلى قدر
استنارة مركز النفس يزول
كل العبادة ويستغني حينئذ
عن مقاومة النفس ومنع

له من الاحوال وما يبدو من أوائل الكرامات ومهما التفت الى شئ من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا
فى طريقه ووقوفا بل ينبغى ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذى لاترويه البحار ولو أفيضت عليه
ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة * قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال
المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون فى الدنيا كانك عابر طريق وقال مرة قلت له
دلنى على عمل أجد قلبى فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لى لاتنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لى من
ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا
بين أظهرهم لابد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قال قلت هذا لعله قال ياهذا
أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا
مالا يكون أبدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره
ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له
الحق وظهر له من لطائف الله تعالى مالا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا واذا انكشف للمريد شئ
من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها
لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر فى كيفية ايراد تلك المعانى وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها
وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع فربما
يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما أنت واسطة بين الله تعالى
وبين الخلق تدعو عباده اليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر فى أقرانه من
يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لامحالة
ان كان محركه كيد القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم
به فرحه ويقول الحمد لله الذى عضدنى وأيدنى بمن وازرنى على اصلاح عباده كالذى وجب عليه مثلا ان يحمل
ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون
موتى القلوب والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففى كثرتهم استرواح وتناصر فينبغى ان يعظم الفرح بذلك
وهذا عزيز الوجود جدا فينبغى ان يكون المريد على حذر منه فانه أعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق
على من انفتحت له أوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل
تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم فى الطباع وان ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال ان هذا لفى
الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته فى التدريج الى لقاء الله تعالى فأما تفصيل
الرياضة فى كل صفة فسيأتى فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة
بها ثم الغضب الذى هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما
أحب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة
واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب
علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب فى كسر
شهوة البطن والفرج وكتاب فى آفات اللسان وكتاب فى كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب فى ذم الدنيا
وتفصيل خدعها وكتاب فى كسر حب المال وذم البخل وكتاب فى ذم الرياء وحب الجاه وكتاب فى ذم الكبر
والعجب وكتاب فى مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع
المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه فى الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذى هو معدن المهلكات
والمنجيات وما ذكرناه فى الكتاب الثانى هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلوب

جوازها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم مانقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ وجهت وجهى الآية وهذا التوجه انقاء لوجه قلبه والذى قبل الصلاة لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اللهم أنت الملك لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعا انه لايغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لايهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها فانه لايصرف عنى سيئها الا أنت لبيك وسعديك فالخير كله بيديك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك ويطرق رأسه فى قيامه ويكون نظره الى موضع السجود ويكمل القيام

أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

(كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يتلذذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته وقرابته والاخيار من صحابته وتابعيه (أما بعد) فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة الى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال أبو سعيد الخدري

بانتصاب القامة ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والاطراف ومعاطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده الى الارض فهذا من خشوع سائر الاجزاء ويتكون الجسد بتكون القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين بمقدار أربعة أصابع فان ضم الكعبين هو الصفد المنهي عنه ولا يرفع احدى الرجلين فانه الصفن المنهي عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد واذا كان الصفن منهيا عنه ففي زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الاخرى معنى من الصفن فالاولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو أن يرخي أطراف الثوب الى الارض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى أن تنجو بهم وان استطعت ان يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار * روى الحسن عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى يبغض القارئ السمين من الشبع وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة امعاء أي يأكل سبعة اضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة اضعاف شهوته وذكر المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وروي ان أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني أستحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي

داخل فيركع ويسجد كذلك وفي معناه ما اذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو أن يرفع ثيابه بيديه عند السجود ويكره الاختصار وهو ان يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين وتجافي العضدين فاذا وقف في الصلاة على الهيئة التي ذكرناها مجتنبا للمكاره فقد تم القيام وكمله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرنا ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها في كل ركعة أمام القراءة ويقرأ الفاتحة وما بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطأة بين القلب واللسان بحظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وان قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها اذا كان اماما في السكتة الثانية اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت

غدا ودوم فالصبر أياما يسيرة أحب الي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب الي من اللحوق
بأصحابي واخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وعن أنس قال جاءت فاطمة
رضوان الله عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم
تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه أول طعام دخل فم أبيك
منذ ثلاثة أيام وقال أبو هريرة ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق
الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس الى الله
المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة (وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه
اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة
وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان
الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك
انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان كهمس يقول الهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي بلا
مصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني
بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد
ابن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح
جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول الهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي
بلا مصباح وانما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع
التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق
الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة الى الصبح
وقال أيضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا وعشرين
يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل
بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الاكياس شيئا أنفع من الجوع
للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع
ووضعت المعصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في
الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون
الترك أحب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار
الابدال ابدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء الى الارض
الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل
على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه
وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال ما مر على وجه الارض أحد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية
وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش
وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن
ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى
أن الله تعالى ما صافى أحدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله
تعالى الا بالجوع وقال أبو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته
لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام وقال

بين المشرق والمغرب ونقني
من الخطايا كما ينقى الثوب
الابيض من الدنس اللهم
اغسل خطاياي بالماء والثلج
والبرد فحسن وان قالها في
السكتة الاولى فحسن روي
عن النبي عليه السلام أنه
قال ذلك وان كان منفردا
يقولها قبل القراءة ويعلم
العبد ان تلاوته نطق
اللسان ومعناها نطق القلب
وكل مخاطب لشخص
يتكلم بلسانه ولسانه يعبر
عما في قلبه ولو أمكن المتكلم
افهام من يكلمه من غير
لسان فعل ولكن حيث
تعذر الافهام الا بالكلام
جعل اللسان ترجمانا فاذا
قال باللسان من غير مواطأة
القلب فما اللسان ترجمانا
ولا القارئ متكلما قاصدا
اسماع الله حاجته ولا مستمعا
الى الله فهما عنه سبحانه
ما يخاطبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب غائب
عن قصد ما يقول فينبغي أن
يكون متكلما مناجيا أو
مستمعا واعيا فأقل مراتب

صفا ورق واذا شبع عمى وغلظ فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي
فائدة ثانية (الفائدة الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة
عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشئ كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها
وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها ومالم يشاهد
الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل
والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق
ولاجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبى صلى الله عليه وسلم قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا
جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع
والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب
الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر (الفائدة الرابعة)
ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن
لا يشاهد بلاء من غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ومن
جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغى
أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذى يهيج الخوف فمن لم يكن فى ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء
نسى عذاب الآخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغى أن يكون العبد فى مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء
وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الاسباب الذى
اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفى يديك
خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان
ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان فى غفلة عن ألم الجائع (الفائدة
الخامسة) وهى من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ
المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة
وانما السعادة كلها فى أن يملك الرجل نفسه والشقاوة فى أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف
الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد
انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فأخاف أن يجمح بى فيورطنى فلأن أحمله على الشدائد أحب الى من
أن يحملنى على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت أو هممت بمعصية وقالت عائشة رضى الله عنها
أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى
هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل
ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به
من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى
فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم * وأما
شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك
عينه فالعين تزنى كما أن الفرج يزنى فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية
وحديث النفس بأسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك فى أثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة
اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد
صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيأ من الشهوات ويأكل فى نصف بطنه رفع الله عنه

قلب ليس فيه غيرها فيتملكها
القلب بحسن الفهم ولذيذ
نعمة الاصغاء ويتشربها
بحلاوة الاستماع وكمال الوعى
ويدرك لطائف معناها
وشريف فحواها معانى
تلطف عن تفصيل الذكر
وتتشكل بخفى الفكر
ويصير الظاهر من معانى
القرآن قوت النفس والنفس
المطمئنة متعوضة بمعانى
القرآن عن حديثها لكونها
معانى ظاهرة متوجهة الى
عالم الحكمة والشهادة تقرب
مناسبتها من النفس
المكونة لاقامة رسم الحكمة
ومعانى القرآن الباطنة
التى يكاشف بها من
الملكوت قوت القلب
وتختص الروح المقدس
الى أوائل سرادقات
الجبروت بمطالعة عظمة
المتكلم وبمثل هذه المطالعة
يكون كمال الاستغراق فى
لجج الاشواق كما نقل عن
مسلم بن يسار انه صلى ذات
يوم فى مسجد البصرة فوقعت
أسطوانة تسامع بسقوطها

مؤنة

مؤنة النساء (الفائدة السادسة) دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأي سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد أخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له (الفائدة السابعة) تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما حملك على هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالاكل وأسبابه الى العبادة أرباح كثيرة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد أشار أبو سليمان الداراني الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل (الفائدة الثامنة) يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الاسود وقال العراقي هو حب الرشاد الابيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتا

أهل الشوق وهو واقف في الصلاة لم يعلم بذلك ثم اذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوي القامة والنصف الاسفل بحاله في القيام من غير انطواء الركبتين ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الاصابع (روي) مصعب ابن سعد قال صليت الى جنب سعد بن مالك فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما فضرب بيدي وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يا بني انا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالاكف على الركب ويقول سبحان ربي العظيم ثلاثا وهو أدنى الكمال والكمال أن يقول احدى عشرة وما يأتي به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع والرفع من الركوع ويكون في ركوعه ناظرا

بأدب لم يعتل الا علة الموت قيل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح ولان يقل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما (الفائدة التاسعة) خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل وربما يحتاج الى أن يمد أعين الطمع الى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء اني لأقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي وقال آخر اذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول أرخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الاكول مذموم في ثلاثة أحوال ان كان من أهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهيه لا محالة (الفائدة العاشرة) أن يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمة الله عليه اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها كذلك على الارض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة بأموالهم فأصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبيعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يتكئ على شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء أهضم به طعامي يا لكع أطعامك تهضم انما دينك تهضم أين الفقير أين الارملة أين المسكين أين اليتيم الذين أمرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى

فوائدها

نحو قدميه فهو أقرب الى الخشوع من النظر الى موضع السجود وانما ينظر الى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي ومخي وعصبي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى قائما يحمد ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ثم يقول أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فان أطال في النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربي الحمد مكررا ذلك بهما شاء فأما في الفرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع في

فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان والله أعلم بالصواب

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على المريد في بطنه ومأكوله أربع وظائف * الاولى أن لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها (أما الوظيفة الاولى) في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير وانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا وأراد ان يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ أو جزأ من ثلاثين جزأ فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر أثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالامس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا واخلط الجميع وأسوي منه ثلثمائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له فالساعة كيف تأكل قال بغير حد ولا توقيت ويحكى عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم الى مقدار درهم من الطعام * الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الار بعة منه منا ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم * الدرجة الثالثة أن يردها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شئ للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس * الدرجة الرابعة أن يزيد على المد الى المن ويشبه أن يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا أعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها أن لا تطلب النفس الادم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه أو طلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال

الرفع من الركوع بتمام الاعتدال باقامة الصلب (ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله الى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوي ساجدا ويكون في هويه مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوي فيه واليه وله فمن الساجدين من يكاشف انه يهوي الى تخوم الارضين متغيبا في أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد ان جبرائيل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى ومن الساجدين من يكاشف انه يطوي بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه في فضاء الكشف والعيان فتهوي دون هويه اطباق السموات وتنمحي بقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذلك أقصى ما ينتهي اليه طائر الهمة البشرية وتفي بالوصول

والأشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيأ حتى ألقاه فاني سمعته يقول أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بألوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط (الوظيفة الثانية) في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضا أربع درجات * الدرجة العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابراهيم ورحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي أن الثوري وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الالهية وقد حكي أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى أن قال له الراهب ان المسيح كان يطوي أربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي أو صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم أنه حق وأنك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته * الدرجة الثانية أن يطوي يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة * الدرجة الثالثة وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والسرف فان أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين اقتار وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم ابن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى

تورم

اليه القوى الانسانية ويتفاوت الانبياء والاولياء في مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظا من ذلك وفوق كل ذي علم عليم ومن الساجدين من يتسع وعاؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصفين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له الانس والهيبة والحضور والغيبة والفرار والقرار والاسرار والجهار فيكون في سجوده سابحا في بحر شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها الطوع للروح والقلب لما فيهما من الاهلية والكره من النفس لما فيها من الاجنبية ويقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثلاثا الى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لانهما

تورم قدماه وما واصل وصال الكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر الى السحر وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب فى التهجد فالاولى أن يقسم طعامه نصفين فان كان رغيفين مثلا أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق فى مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه (الوظيفة الثالثة) فى نوع الطعام وترك الادام وأعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الادم اللحم والحلاوة وأدناه الملح والخل وأوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وأنساله بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجناله واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوات الطعام على قدر تجويع النفس فكل ماذكرناه من آفات الشبع فانه يجرى فى كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب فى ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصى بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى فى طلبها فيجرها ذلك الى المعاصى فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام أمور وتلك الامور معاص وقال صلى الله عليه وسلم شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وانما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون فى الكلام وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات كما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال قد أعطيته درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أشار الى ان المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضى الله عنه ان يزيد بن أبى سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فأعلمنى

يسجدان وفى الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه فى السجود فهو أبلغ فى الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى ولا يلفهما فى الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك وان قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فحسن وروت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك ويجافى مرفقيه عن جنبيه ويوجه

فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وأناله عاص وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عني كلب الجوع قال شقيق بن ابراهيم لقيت ابراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت ايش هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر علي فقلت يا أخي قل ما شئت فقال لي اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدي حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس اذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل قد تركته لله عز وجل فقال له قد أطعمك الله كل فما كان لي جواب الا اني بكيت فقال لي كل رحمك الله فقلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيته فقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعمه نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملائكة يقولون من اعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها أنا بين يديك لاجل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق فقلت أرني كفك فأخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صحوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى أدركنا البيت وروي عن مالك بن دينار انه بقي أربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله وأهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن دينار مررت بالبصرة في السوق فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت ان لا أطعمها اياه أربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ أربعين سنة طعاما فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسي اشتهيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تأكليه أبدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر أبو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وأتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء * وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن أحمد بن خليفة قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا الماء حتى تروى فما أرويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي ان أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا

اصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الابهام ولا يفرش ذراعيه على الارض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالاصابع الى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفريجهما ويقول رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الاقعاء في القعود وهو ههنا أن يضع أليتيه على عقبيه ثم اذا أراد النهوض الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ويفعل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو

فقلت ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته اياها قالوا وأقبل يبكى ويقرأ ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهى تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا
بقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه
يقول هذا لجراءتى عليك وشرائى التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس الا بذنبك على أن لا تذوقيه
واشترى داود الطائى بنصف فلس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك
يوم القيامة ثم لم يأكل بعده الا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيدان فلانا يصف من نفسه منزلة
ما أعرفها من نفسى فقال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ قال فان أنا تركت أكل التمر
عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكى فقال عبد
الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك وهو اذا ترك شيأ لم يعاوده وقال جعفر بن نصر أمرنى
الجنيد ان اشترى له التين الوزيرى فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها فى فمه ثم ألقاها وجعل
يبكى ثم قال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف بى هاتف اما تستحى تركته من أجلى ثم تعود اليه وقال صالح المرى
قلت لعطاء السلمى انى متكلف لك شيأ فلا ترد على كرامتى فقال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ابنى شربة من
سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها
فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسوءك هذا انى قد
شربتها أول مرة وقد راودت نفسى فى المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله
تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت فى نفسى أنا فى واد وأنت فى واد آخر وقال السرى
السقطى نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى ان أغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا
تقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام وأطعمنى بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا أريد ان تطوى عشرة
أيام ولكن اتركى هذه الشهوة وروى ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الارغفة
ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع اما علمت ان فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل
فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الارض والرياح والارض
والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفى الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين
يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة
ثم الملائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال أى شئ
سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأى شئ تقول انت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما تملك من
بطنه تملك من الزهد وبقدر ما تملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فاتى عبد الرحمن
الطبيب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسألنى فاذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف لى حتى اسمع قال
تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر هل تعلم شيأ أقل من السكنجبين يقوم
مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال أتعرف شيأ أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا
قال أنا أعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامى قال فتعرف شيأ أقل من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال أنا
أعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن انت اعلم منى بالطب فلم تسألنى فقد عرفت بهذا ان
هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها وفى بعض
الاوقات لانهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا فى قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات
حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك

معراج القلوب والتشهد
مقر الوصول بعد قطع
مسافات الهيآت على
تدريج طبقات السموات
والتحيات سلام على رب
البريات فليذهن لما يقول
ويتأدب مع من يقول ويدر
كيف يقول ويسلم على النبى
صلى الله عليه وسلم ويمثله
بين عينى قلبه ويسلم على
عباد الله الصالحين فلا يبقى
عبد فى السماء ولا فى الارض
من عباد الله الا ويسلم عليه
بالنسبة الروحية والخاصية
الفطرية ويضع يده اليمنى
على فخذه اليمنى مقبوضة
الاصابع الا المسبحة ويرفع
المسبحة فى الشهادة فى الا الله
لا فى كلمة النفى ولا يرفعها
منتصبة بل مائلة رأسها الى
الفخذ منطوية فهذه هيئة
خشوع المسبحة ودليل
سراية خشوع القلب اليها
ويدعو فى آخر صلاته لنفسه
وللمؤمنين وان كان اماما

فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فيكفي بالمرء اسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم وقال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب الى الشكر وفي الحديث أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزأ من القرآن عقيب أكله فقد كان سفيان الثوري اذا شبع ليلة أحياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيأ من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة * نظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به والا أخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض أنواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني نفسي خبز أرز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلني به خبز أرز وسمك وقال كل اليوم شهوتك هنيأ بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الأيام الخالية وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط اذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ الى أن الافراط فيه مطلوب وهيهات لكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي الى الغاية فانه ان أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على اساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص

ينبغي أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن وراءه فان الامام المتيقظ في الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجاتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى في كلامه بقوله سبحانه كأنهم بنيان مرصوص وفي وصف هذه الأمة في الكتب السالفة صفهم في صلاتهم كصفهم في قتالهم (حدثنا) بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن شعيب الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الواعظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر ابن العباس السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن

من

يرى هذا من ابراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال مادخل بيتي الملح منذ عشرين سنة وعن سري
السقطي انه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير أو يقطع بأن
أحدهما مخطئ والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال
المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبي مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي فليس نفسي
أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور
يقول ما نفسي بأعصى علي من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن أدهم فأقتدي بهم وأرفع التقدير في مأكولي
فأنا أيضا ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض ثم انه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بمارية
واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام
والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله
وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله اذا أكل على
نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله وافطاره فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة
ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها
وهذه الاسرار لا يجوز للشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه
يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي أن يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف
الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي
فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها كي
لا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه
النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا
كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي
الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا أم لك كل يوما خبزا
ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال
فأما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك والله
تعالى أعلم

(بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات * احداهما ان لا تقدر النفس
على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا
يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا
قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بشهوات وأحبها أن يظهرها
فان هذا اصدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو
نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين
ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر وأظهر وهذا كفر
وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن
ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف أن يترك
الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات

ويعلقها

اجتمعت ظواهرهم تجتمع
بواطنهم وتتناصر وتتعاضد
وتسري من البعض الى
البعض أنوار وبركات بل
جميع المسلمين المصلين في
أقطار الارض بينهم تعاضد
وتناصر بحسب القلوب
ونسب الاسلام ورابطة
الايمان بل مدهم الله تعالى
بالملائكة الكرام كما أمد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالملائكة المسومين
فحاجتهم الى محاربة
الشيطان أمس من حاجتهم
الى محاربة الكفار ولهذا
كان يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجعنا من
الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر فتتداركهم الاملاك
بل بأنفاسهم الصادقة تتماسك
الافلاك * فاذا أراد
الخروج من الصلاة يسلم
عن يمينه وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة والسلام
على الملائكة والحاضرين

ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما أن الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان انك اذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه في معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات *الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب منها شيأ يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها اذلم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين *احداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الاجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق *الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وهني ومنيي وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال روي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ أقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها وأفتنها به ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم *وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شئ أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت

من المؤمنين ومؤمني الجن ويجعل خده مبينا لمن على يمينه بالواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يساره فقد ورد النهي عن المواصلة والمواصلة خمس اثنتان تختص بالامام وهو ان لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنتان على المأموم وهو ان لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام والمأمومين وهو ان لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمد مدا ثم يدعو بعد التسليم بما يشاء من أمر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم أيضا في صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكل المقامات والاحوال زينتها الصلوات الخمس في جماعة وهي سر الدين وكفارة المؤمن

الاشغال الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى أمرين شنيعين * أحدهما أن يتناولوا ما يقوي شهوتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة فاعلم انه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع * والامر الثاني أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع بارافة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيى منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة ومثال من كسر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما أعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد يؤدي الى نزع الروح فاذا افراط الشهوة أن يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وانما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما افرطت فيكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء

* (بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله) *

اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما أحوجك الى امرأة تأنس بها فقال لا آنسني الله بها أي ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه في بعض الاحوال أن يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها

عن

وتمحيص للخطايا على ما أخبرنا شيخ الاسلام ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا يحيى بن عبيد الله قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقرؤا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

(الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها)

من عظيم ما هو فيه القصور وطاقة غالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه
ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه
فالضعيف اذا لاحظ أحواله في مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله
صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزبة في الابتداء الى أن يقوى في المعرفة هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته
الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ
العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه
فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي على القرب الى
الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام
اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه
السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل
ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي
لا أخطئ به يعني النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها
خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة أضر
على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من
قبل النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا
فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني
وزناه القبلة والقلب يهم أو يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الاعمى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا أوليس بأعمى لا يبصرنا
فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم
فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز
للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها
عن الصبيان فالنكاح أولى به فان الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة أمكنه الوصول الى استباحتها
بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال الصورة الامرد بحيث يدرك التفرقة
بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل
وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه
التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة
تساقطت أوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي
ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك
التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما
وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المذهبة
فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض
التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس اليه * وقال سفيان لو أن
رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في
هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى
الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس

أحسن آداب المصلي أن
لا يكون مشغول القلب
بشيء فلو أكثر الاكياس
لم يرفضوا الدنيا الا ليقيموا
الصلاة كما أمروا لان الدنيا
وأشغالها لما كانت شاغلة
للقلب رفضوها غيرة على
محل المناجاة ورغبة في
أوطان القربات واذعانا
بالباطن لرب البريات لان
حضور الصلاة بالظاهر
اذعان الظاهر وفراغ القلب
في الصلاة عما سوى الله
تعالى اذعان الباطن فلم يروا
حضور الظاهر وتخلف
الباطن حتى لا يختل اذعانهم
فتنخرم عبوديتهم فيجتنب
أن يكون باطنه مرتهنا بشيء
ويدخل الصلاة (وقيل)
من فقه الرجل ان يبدأ
بقضاء حاجته قبل الصلاة
ولهذا ورد اذا حضر العشاء
والعشاء فقدموا العشاء على
العشاء ولا يصلي وهو حاقن
يطالبه البول ولا حازق

لا يسكن توقانه الا بالجوع (وقال بعضهم) غلبت على شهوتي في بدء ارادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج الى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثرت الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي أتحب ان يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع مالا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية (قال بعضهم) من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المرأة دون الرجل بأربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه بأربع بالجمال والادب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى أبيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبحها فأراهم الرجل انه قد أصابه رمد ثم أراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حينئذ فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون وان قدر على الترك فهو أولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب الى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الايام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه ما سرني ان أشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما أيس ابليس من أحد الا وأتاه من قبل النساء وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء أخوف عندي من النساء وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما أتيته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت ان أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على

طالبه الغائط والحزق أيضا
ضيق الخف ولا يصلي أيضا
وخفه ضيق يشغل قلبه فقد
قيل لا رأي لحاذق قيل الذي
يكون معه خف ضيق وفي الجملة
ليس من الادب أن يصلي
وعنده ما يغير مزاج باطنه
عن الاعتدال كهذه الاشياء
التي ذكرناها والاهتمام
المفرط والغضب (وفي الخبر)
لا يدخل أحدكم في الصلاة
وهو مقطب ولا يصلين أحدكم
وهو غضبان فلا ينبغي للعبد
أن يتلبس بالصلاة الا وهو
على أتم الهيآت وأحسن
هيئة المصلي سكون الاطراف
وعدم الالتفات والاطراق
ووضع اليمين على الشمال
وما أحسنها من هيئة عبد
ذليل واقف بين يدي ملك
عزيز وفي رخصة الشرع
دون الثلاث حركات
متواليات جائز وأرباب
العزيمة يتركون الحركة في
الصلاة جملة وقد حركت يدي

النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي فاسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب وذلك انه لم يرأربعين سنة الا بين داره والمسجد قال نخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا أبا محمد لو أرسلت الى لاتيتك فقال لا أنت أحق ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك واذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤني وقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا أو سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها الى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الى بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد ابن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل الا أن مقتضاها قبيح يستحيي منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه بأي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال انى أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم أشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيأ وجلس سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجها فبصرت به اعرابية من قلة الجبل وانحدرت اليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان

في الصلاة وعندي شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكره على وقال عندنا ان العبد اذا وقف في الصلاة ينبغي ان يبقى جمادا بحيث لا يتحرك منه شيء (وقد) جاء في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك (وقد روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الخشوع في الصلاة ان لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله (ونقل عن سفيان) انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن معاذ بن جبل أشد من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط

فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت أهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا انما أريد ما يكون من الرجل الى أهله فقال جهزك الى ابليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأته منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت ما يبكيك قال أنا أحق بالبكاء منك لاني أخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام واذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الابواء أعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت الى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كان لي ابنة عم من أحب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس الي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذي له وذهب فثمرت له أجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجري فقلت كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت لا أستهزئ بك فخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنى فحفظها مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية أي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتألم لانه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روي عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم الى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا أشد حبا لك

ي بساط في صلاته فصلاته
طلة قال بعضهم لان ذلك
دوه علا وقيل في تفسير
له تعالى والذين هم على
صلاتهم دائمون قيل هو
سكون الاطراف
لها ما نينة (قال) بعضهم
ا كبرت التكبيرة الاولى
علم ان الله ناظر الى فتخصك
م بما في ضميرك ومثل في
صلاتك الجنة عن يمينك
لنار عن شمالك وانما
كرنا أن تمثيل الجنة والنار
ى القلب اذا اشتغل بذكر
آخرة ينقطع عنه
سواس فيكون هذا
مثيل تداويا للقلب لدفع
سوسة (أخبرنا) شيخنا
ياء الدين أبو النجيب
سهروردي اجازة قال أنا
بن أحمد الصفار قال أنا
بكر بن خلف قال أنا أبو
الرحمن قال سمعت أبا
سين الفارسي يقول
ت محمد بن الحسين

مثلك لي ولكني أخاف الله قال فانت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا ادعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فأخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت ان ليس لك عمل صالح وانا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فأخبره فقال الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له يافتى اسمع مني كلمات أكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يافتى اسمع مني كلمات أكلمك بها فأطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها وجملة ما أقول لك ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في أمري وأمرك قال فمضى الشاب الى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله واذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة ان الله عز وجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني أدلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فأين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت يافتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدا الا غدا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من أمرك ثم انها تبعته وقالت امنن علي بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فأطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الاول ثم انها أفاقت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحيي منه ان أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى * تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

(كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحسن خلق الانسان وعدله وألهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان

يقول قال سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فاما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغني بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخراز اذا ركع فالادب في ركوعه ان ينتصب ويدنو ويتدلى في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل الا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله ويصغر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء واذا رفع رأسه وحمد الله يعلم انه سبحانه وتعالى يسمع ذلك (وقال) أيضا ويكون معه من الخشية ما يكاد يذوب به (قال) السراج اذا أخذ العبد في التلاوة فالادب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى وقال

فقدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمه وبجله ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله (أما بعد) فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والآذان لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى أن يضطره الى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله وانه أعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان أو جماد أو انسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعاريض في الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله أي حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقي فأومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه

السراج أيضا من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفي كل شئ غير الله تعالى فاذا قاموا الى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة الى الصلاة فيكونون مع النفس والعقل اللذين دخلوا في الصلاة بهما فاذا خرجوا من الصلاة رجعوا الى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبدا في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة (وقيل) كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحدا من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب لان عند حضور القلب رفع الحجاب

الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وقال عبد الله بن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما شيء أحوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان أرسلته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال الا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والاحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تتكلم فقال له أخشى الله ان كذبت وأخشاك ان صدقت * وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه الكلمة ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقيل أقام المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة * أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى الى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

(الآفة الأولى الكلام فيما لا يعنيك)

اعلم ان أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا الا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه

ولا

(وذكرت) السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال ان أقبح السرقة ان يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروي) عن أبي عمرو بن العلاء انه قدم للامامة فقال لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشي عليه فقدموا اماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت أنت مع الله قط (وقال عليه السلام) ان العبد اذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم صعدت ولها نور حتى تنتهي الى السماء وحتى تصل الى الله

ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيأ لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيأ لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحب الي من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه عما تحب أن يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا أمين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر واذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة وأكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال

فتشفع لصاحبها واذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهي الى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال أبو سليمان الداراني) اذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله أرخوها فيما بيني وبينه وخلوا عبدي وما اختار لنفسه (وقال) أبو بكر الوراق ربما أصلي ركعتين فانصرف منهما وأنا استحي من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الادب عنده ومعرفة كل انسان بادب الصلاة على قدر حظه من القرب (وقيل) لموسى بن جعفر ان الناس أفسدوا عليك الصلاة بمرهم بين يديك

الا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد
عرضته بالسؤال اما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته
وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم
أنت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وان لم
يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه
بان يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه
اثم أو ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن
رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما
فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير
سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من
الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا
حده * وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو
تزجية الاوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة
وان أنفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران
مبين هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت
بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا

* (الآفة الثانية فضول الكلام) *

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر يمكنه
ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين
فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن أبي رباح
ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها
أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
أما يستحيي أحدكم اذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن
بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فأترك جوابه
خيفة أن يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب
والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز
وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فأمسكوا فضل
المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة
الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا أطلق بالثناء ولو
بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم
حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول
أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان

قال ان الذي أصلي له أقرب
الي من الذي يمشي بين يدي
(وقيل) كان زين العابدين
علي بن الحسين رضي الله
عنهما اذا أراد ان يخرج
الى الصلاة لا يعرف من تغير
لونه فيقال له في ذلك فيقول
أتدرون بين يدي من أريد
ان أقف (وروي) عمار بن
ياسر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يكتب
للعبد من صلاته الا ما يعقل
وقد ورد في خبر آخر منكم
من يصلي الصلاة كاملة
ومنكم من يصلي النصف
والثلث والربع والخمس
حتى يبلغ العشر (قال)
الخواص ينبغي للرجل ان
ينوي نوافله لنقصان
فرائضه فان لم ينوها لم
تحسب له منها شيء بلغنا ان
الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى
فريضة يقول الله تعالى
مثلكم كمثل العبد السوء
بدأ بالهدية قبل قضاء الدين

أعمالك فاعمل ماشئت وا كثر وأقلل وروى ان سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون
ما يقول ويخبرونه فأخبروه بانه مر فى السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمان
عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون
وقال ابراهيم التيمى اذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فان كان له تكلم والا أمسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا
وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار
تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال
شفتاى وأسنانى قال أفما كان لك فى ذلك ما يرد كلامك وفى رواية انه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستهتر فى
الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل فى لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه انه ليمنعنى من كثير من
الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا
فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبى حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع
فان وجد من يكفيه فان فى الاستماع سلامة وفى الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان أحق ما طهر
الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس
خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق
فى الكلام فيما لا يعنى

(الآفة الثالثة الخوض فى الباطل)

وهو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك
ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما
لا يعنى أو أكثر مما يعنى فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لا يؤمن عليه الخوض
فى الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض
فى الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعنى من
مهمات الدين والدنيا وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله
بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه
بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبى
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا وقال أبو هريرة ان
الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها
فى أعلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل واليه الاشارة
بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا
مثلهم وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فى معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من
الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض فى الباطل وهو
وراء ما سيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض فى ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر
للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض فى حكاية البدع والمذاهب الفاسدة
وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض فى
الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

(الآفة الرابعة المراء والجدال)

(وقال) أيضا انقطع الخلق
عن الله تعالى بخصلتين
احداهما انهم طلبوا
النوافل وضيعوا الفرائض
والثانية انهم عملوا أعمالا
بالظواهر ولم يأخذوا
أنفسهم بالصدق فيها
والنصح لها وأبى الله تعالى
أن يقبل من عامل عملا الا
بالصدق واصابة الحق وفتح
العين فى الصلاة أولى من
تغميض العين الا أن
يتشتت همه بتفريق النظر
فيغمض العين للاستعانة
على الخشوع وان تثاءب فى
الصلاة يضم شفتيه بقدر
الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره
ولا يزاحم فى الصلاة غيره
(قيل) ذهب المزحوم بصلاة
المزاحم (وقيل) من ترك
الصف الاول مخافة أن يضيق
على أهله فقام فى الثانى
أعطاه الله مثل ثواب الصف
الاول من غير أن ينقص من
أجورهم شئ (وقيل) أن

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذروا
المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى
الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن أول ما عهد إلي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضا ما ضل
قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان
محقا وقال أيضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل
الصلاة في يوم الدجن والصبر على المصيبات وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير
لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه
من جعل دينه عرضا للخصومات أكثر التنقل وقال مسلم بن يسار إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها
يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا
الجدال من الدين في شيء وقال أيضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل
العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان
لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه
بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه وقال
أبو الدرداء كفى بك إثما أن لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي
الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه
ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت
مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تترك أخاك عن قلى
قال لأني لا أشاريه ولا أماريه وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى وحد المراء هو كل اعتراض
على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار
والاعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين
فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من
جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون
بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه
من وجه كذا وكذا وأما في قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه
صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم
بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكادة أو التلطف في التعريف
لا في معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى
القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهة عند المجادل يحب أن يكون هو
المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه
وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان
للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى
العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضي أن
يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء والجدال
فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل

إبراهيم الخليل عليه السلام
كان إذا قام إلى الصلاة يسمع
خفقان قلبه من ميل
(وروت) عائشة رضي الله
عنها أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسمع من
صدره أزيز كأزيز المرجل
حتى كان يسمع في بعض
سكك المدينة (وسئل)
الجنيد ما فريضة الصلاة
قال قطع العلائق وجمع
الهم والحضور بين يدي
الله وقال الحسن ماذا يعز
عليك من أمر دينك إذا
هانت عليك صلاتك
(وقيل) أوحى الله تعالى
إلى بعض الأنبياء فقال إذا
دخلت الصلاة فهب لي من
قلبك الخشوع ومن بدنك
الخضوع ومن عينك
الدموع فإني قريب (وقال)
أبو الخير الأقطع رأيت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام فقلت يا رسول
الله أوصني فقال يا أبا الخير

فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى فى افحامه والجامه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائى لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على منها وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك فى المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان ان يكف لسانه عن أهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف فى نصحه فى خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه فى التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة فى قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا بأحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

(الآفة الخامسة الخصومة)

وهى أيضا مذمومة وهى وراء الجدال والمراء فالمراء طعن فى كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج فى الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله بن أبى بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بينى وبين ابن عم لى فقال ان لابيك عندى يدا وانى أريد أن أجزيك بها وانى والله ما رأيت شيأ أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لى خصمى ما لك قلت لا أخاصمك قال انك عرفت ان الحق لى قلت لا ولكن أكرم نفسى عن هذا قال فانى لا أطلب منك شيأ هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة فى طلبه أو فى حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذى يخاصم بالباطل والذى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف ان الحق فى أى جانب هو يتوكل فى الخصومة من أى جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذى يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد فى الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الايذاء ويتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها فى نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفى الناس من يصرح به ويقول

عليك بالصلاة فانى استوصيت ربى فأوصانى بالصلاة وقال لى ان أقرب ما أكون منك وأنت تصلى (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما ركعتان فى تفكر خير من قيام ليلة (وقيل ان محمد بن يوسف الفرغانى) رأى حاتما الاصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ الناس أفتحسن أن تصلى قال نعم قال كيف تصلى قال أقوم بالامر وأمشى بالخشية وأدخل بالهيبة وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها الى ربى وأحفظها أيام حياتى وأرجع باللوم على نفسى وأخاف أن لا تقبل منى وأرجو ان تقبل منى وأنا بين الخوف والرجاء وأشكر من علمنى وأعلمها من سألنى

انما قصدي عناده وكسر عرضه وانى ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغى أن لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم أقل ما يفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ أقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقال ابن عباس أيضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضى الله عنه البر شئ هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضى به جليسك فلا تبخل به عليه فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله فى فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذى للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(الآفة السادسة)

التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام وقالت فاطمة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضى الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمرو بن سعد بن أبى وقاص الى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدى حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل

وأجد ربى اذ هدانى فقال محمد بن يوسف ذلك يصلح ان يكون واعظا وقوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشئ من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال أيضا ان الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهى خداج أى ناقصة * وقد ورد أن المؤمن اذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان فى أقطار الارض خوفا منه لانه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس قيل يضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه ويواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك فى قلبه فاذا لم يكن فى

سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل
ومثل ذلك بطل فقال اسجعا كسجع الاعراب وأنكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي
أن يقتصر في كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم لا يدخل في
هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها
وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها
السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة
وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

(الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب
الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا
هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس
المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش أن
يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم
يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان
الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة يا عائشة
لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق
فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد
التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى أسماع العوام
أولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب الى
القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان من بيانه
فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب
الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي
أمامي فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شئ وان أحسن الناس اسلاما
أحاسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في
جوف كلب وقال الاحنف بن قيس ألا أخبركم بأدوأ الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش
فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ
الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح
يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها وقال ابن
عباس ان الله حي كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن
الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير وهذه
العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة
وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول
والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيي منه فلا ينبغي ان
يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا

قلبه أكبر من الله تعالى
يقول صدقت الله في قلبك
كما تقول وتشعشع من قلبه
نور يلحق بملكوت العرش
ويكشف له بذلك النور
ملكوت السموات والارض
ويكتب له حشو ذلك
النور حسنات وان الجاهل
الغافل اذا قام الى الصلاة
احتوشته الشياطين كما
تحتوش الذباب على نقطة
العسل فاذا كبر اطلع الله
على قلبه فاذا كان شئ في
قلبه أكبر من الله تعالى
عنده يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر في قلبك كما
تقول فيثور من قلبه دخان
يلحق بعنان السماء فيكون
حجابا للقلب من الملكوت
فيزداد ذلك الحجاب صلابة
ويلتقم الشيطان قلبه فلا
يزال ينفخ فيه وينفث
ويوسوس اليه ويزين حتى
ينصرف من صلاته ولا يعقل
ما كان فيه * وفي الخبر لولا

بل يقال غسل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فأتيناه نسأله لنرى ما يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء وأما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشئ يعلمه فيك فلا تعيره بشئ تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيأ قال فما سببت شيأ بعده وقال عياض بن حماد قلت يارسول الله ان الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل على من باس ان انتصر منه فقال المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب الآخر أباه

(الآفة الثامنة اللعن)

اما لحيوان أو جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكأني أنظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد وقال أبو الدرداء ما لعن أحد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا أبا بكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا أعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله عز وجل بانه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق *وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية اللعن باوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال

ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء والقلوب الصافية التي كمل أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوي لا سبيل للشيطان اليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي كل طبقة من أطباق السماء يتخلف شئ من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس الى ان يتجاوز السموات ويقف امام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج

الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فأتذن لي لأفطر فيأذن له والرجل يجيء حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتياك فأتذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن تستقيا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله والله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال أما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يارسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد انه قال في ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شيء من خلق الله الا أحسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

(بيان معنى الغيبة وحدودها)

وهو يرى في ذلك فضل الحق والموافقة بهمته يقول أصبح كل يوم وأحب ما لي الصوم وينقض الحق على محبتي الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله (وحكي) عن بعض الصادقين من أهل واسط انه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا في رمضان (وقال) أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وان كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا ان قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والأليق بموافقة العلم امضاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم

اعلم ان حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته * اما البدن فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيف ما كان * وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو اسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيف ما كان * وأما الخلق فبأن تقول هو سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه * وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس * وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس أو لا يرى لاحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو انه كثير الكلام كثير الاكل نؤم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه * وأما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ماذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال هي في النار وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها اذا فهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قال أرأيت ان كان في أخي ما أقوله قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والافك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود ثم قال أستغفر الله اني أراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحدا فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال لي الفظي الفظي فلفظت مضغة لحم

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لانه أعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة حاكت امرأة قال ما يسرني أني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا أن يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة

نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقه كيف تقلب * وقال بعضهم اذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شيء من الدنيا وقيل اذا كان جماعة متوافقين اشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فان لم يساعدوه بنية الافطار ويتكلفوا له رفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره الا من يأمره الشيخ بغير ذلك * وقيل ان بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب اليه فيتأدب به ويصوم بصيامه وحكي عن أبي الحسن المكي انه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا يأكل الخبز الا ليلة

انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما اذا لم يفهم عينه جاز * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيأ قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعي العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهر وا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي اليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال صلى الله عليه وسلم المستمع أحد المغتابين وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ان أحدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم انهما طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه قال بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وان قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك ان يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة وقال أيضا من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها

(بيان الاسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص

الجمعة وكان قوته في كل شهر أربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف ويبيعها وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم عليه الا ان يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له في ذلك لانه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما أخلص لله عبد قط الا أحب ان يكون في جب لا يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسي بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه وأكله فرآه انسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنايتك ورفقتك فقال أنا تائب من

بأهل الدين والخاصة *(أما الثمانية)* فالاول أن يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة * الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي * الثالث أن يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت * الرابع أن ينسب الى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره اليه أو يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك * السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه واكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق * السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والتعجب * الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به * وأما الاسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر * الاول أن تنبعث من الدين داعية التعجب في انكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل * الثاني الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقا في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه

جنايتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روي ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض اسود جسده من أثر المعصية فلما تاب الله عليه أمره ان يصوم أيام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام أيام البيض ويستحبون صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان واصل بين شعبان ورمضان فلا باس به ولكن ان لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم أو يومين وكان يكره بعضهم ان يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذي الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام

وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيأ فسأله عنه فقال لا فقال والله ما رأيته يعطي سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيأ من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة)

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فإنها تنقل حسناته في القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي أن رجلا قال للحسن بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها * قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول إني إذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه أمسك لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فإنهم عصوا

من الأشهر الحرم وورد في الخبر من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام

(الباب الحادي والأربعون في آداب الصوم ومهامه)

آداب الصوفية في الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالأقسام (سمعت) أن بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه أنهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الإفطار يخرجونه ولا يفطرون إلا على ما فتح لهم وقت الإفطار وليس من الأدب أن يمسك المريد عن المباح ويفطر بحرام الآثام (قال) أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون

ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدرى انك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك فى الدنيا بالتوهم وتهلك فى الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان وأما عذرك كقولك ان أكلت الحرام ففلان يأكله وان قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهى أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت العنز أكيس منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك فينبغى ان تعلم انك بما ذكرته به ابطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيأ * وأما الغيبة لاجل الحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت فى الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك فى الدنيا فصرت أيضا خاسرا فى الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك وأهديت اليه حسناتك فاذا أنت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك أو تنقل اليك سيآته فلا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت فى حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسلطه على الانتقام منك وأما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ماهو أكثر من رحمتك فيكون جزاء الاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة وأما التعجب اذا أخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك أنت انك كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التى هى من أبواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسىء الظن باخيك ولست أعنى به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر

فيلم الحق وصيامهم ولذرة من ذى يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقلل الطعام من الحد الذى كان يأكله وهو مفطر والا فاذا جمع الاكلات باكلة واحدة فقد أدرك بها مافوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم ان الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الافعال والاقوال الى الضرورة والنفس من طبعها انها اذا قهرت لله تعالى فى شئ واحد على الضرورة تأدى ذلك الى سائر أحوالها فيصير بالاكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لاهل الله تعالى يجب رعايته

وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهى عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك الا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس ان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد اذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وان ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول امارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح أما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته وأما اذا أخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بايداء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان اسلم لقلبه ودينه وقد

وانقياده ولا يختص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها الا عبد يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصافيه ويربيه ويمتنع في صومه من ملاعبة الاهل بالملامسة فان ذلك أنزه للصوم ويتسحر استعمالا للسنة وهو أدعى الى امضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على الصيام (روى) أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فان في السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء ما بين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر أو يأكل لقيمات ان كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين فاحياء ذلك له فضل كثير والا فيقتصر على

ذكرنا

ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

(بيان الاعذار المرخصة في الغيبة)

اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة أمور * الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا ان لم يكن مظلوما أما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مطل الغني ظلم وقال عليه السلام لي الواجد يحل عقوبته وعرضه الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب الى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما * الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي وكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي فآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء * الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعينه فله أن يصرح به اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترغبون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه * الخامس أن يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى أبو الزناد عن الاعرج وسلمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان قد صار مشهورا به نعم ان وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص * السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا اثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به

الماء لاجل السنة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الانصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل أحب عبادي الي أعجلهم فطرا وقال عليه السلام لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر * والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات (وفي الخبر) كم من صائم حظه من صيامه

فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لوذكره بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

(بيان كفارة الغيبة)

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته أن تستغفر له وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تمشي الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم انما يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لابد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا أو ميتا فينبغي ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فأقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا أحلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم أحرمها عليه فأحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله أبدا فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا أطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء ان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو فقال ان الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وروي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه رطبا على طبق وقال قد بلغني انك أهديت الي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فاني لا أقدر أن أكافئك على التمام

(الآفة السادسة عشرة النميمة)

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم

الجوع والعطش قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة (قال) سفيان من اغتاب فسد صومه * وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب قال الشيخ أبو طالب المكي قرن الله الاستماع الى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال سماعون للكذب أكالون للسحت (وورد) في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه في الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال قولا لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت احداهما

أن تصيبوا قوما بجهالة * الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر * الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى
* الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم
* الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى ولا تجسسوا * السادس
ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا
وتكون قد أتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له
عن رجل شيأ فقال له عمر ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق
بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير
المؤمنين لا أعود اليه أبدا * وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه
فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخي الي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت
نفسك الامينة وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاء رجل فقال له سليمان بلغني انك
وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي أخبرني صادق فقال له الزهري
لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا
اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب
والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما أمر
الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير
الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال
لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله
عنه أن رجلا سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك
وان شئت أن نقيلك أقلناك فقال أقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمن أوضع له
فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغني ان فلانا أعلم
الامير أني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب ان أشتم
نفسي بلساني وحسبي اني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال * وذكرت السعاية عند بعض الصالحين
فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان
قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله وأجازه
فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي
النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس
لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال اني مكلمك
يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك
رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله
عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا في الامة خسفا وفي الامانة تضييعا والاعراض قطعا
وانتهاكا أعلى قربهم البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسؤل عما أجرموا وليسوا
المسؤلين عما أجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى
رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت ان أتناول من يدها قالت صوفي ويشرب بالنهار وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبدا * والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان ان النفس اذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الافطار وهكذا بتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل في ان لا تركن النفس الى عادة ورأوا ان افطار يوم وصوم يوم أشد على النفس * ومن أدب الفقراء ان الواحد اذا كان بين جمع وفي صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع متعلقة بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن

فأنت من الامر الذي كان بيننا ✽ بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري مازال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ياهذا مارعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ولكن أعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ✽ ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله ان نقبل مهتوكا في مستور ولولا انك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعالك في مثلك فتوق ياملعون العيب فان الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه يابني أوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا أبسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح مانقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري مافيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه ان سيدي لايحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين فنسأل الله حسن التوفيق

✽(الآفة السابعة عشرة)✽

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ آخر الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال أبو هريرة لاينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم أبغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وأمره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لايكونن أحدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر أيموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال ياأمير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فأقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لاتنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ماهو

الجمع وفتح عليهم بشئ لايلزمهم ادخاره للصائم مع العلم بان الجمع المفطر من يحتاجون الى ذلك فان الله تعالى يأتي الصائم برزقه الا ان يكون الصائم يحتاج الى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته لشيخوخة أو غير ذلك وهكذا الصائم لايليق ان يأخذ نصيبه فيدخره ولان ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي ذكرناه لاقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية المقيمون في رباط على معلوم فالاليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الافطار وهذا يظهر في جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار فأما اذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام وأمر

عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك اذا أثنى على
كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا أثنى على أحدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي
أن يسكت أو يثني على المحق من المتعاديين ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه قيل لابن عمر رضي
الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى
عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي أحوج نفسه الى ذلك فان كان مستغنيا عن
الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى
الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى
مراعاتهم ومراآتهم فأما اذا ابتلى به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء
رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت
يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا
ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز الا لضرورة أو اكراه يباح الكذب
بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل
كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

(الآفة الثامنة عشرة)

المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست
آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح *(فأما المادح)* فالاولى أنه قد يفرط فينتهي به الى الكذب
قال خالد بن معدان من مدح اماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه
الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا
منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال ان كان أحدكم لا بد مادحا
أخاه فليقل احسب فلانا ولا أزكي على الله أحدا حسيبه الله ان كان يرى أنه كذلك وهذه الآفة تتطرق
الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فأما اذا
قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا
ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال أسافرت معه
قال لا قال أخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو
لا أراك تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب ان يعصى الله تعالى
في أرضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح *(وأما الممدوح فيضره من وجهين)* أحدهما
انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة
والناس حوله اذ أقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها
الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فقال
خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطئ منك الثاني هو أنه اذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي
عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما اذا انطلقت الالسن بالثناء

عليه

يقوم مبناه على الصدق * ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ما صحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة فهو الافضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه اذا كان صائما وأفطر للموافقة وان صام ولم يوافق فله وجه * فاما وجه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن أبي سعيد الخدري قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

عليه ظن انه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضا وقال أيضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أولان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فاذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم لرجح وقال في عمر لو لم أبعث لبعثت يا عمر وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما أثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح

(بيان ما على الممدوح)

اعلم ان على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المادحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر مدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني وقال آخر لما أثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وأنا أشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أتهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك

(الآفة التاسعة عشرة)

في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله عديلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى

طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم اني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف لكم ثم تقول اني صائم افطر واقض يوما مكانه * وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال رسول الله نأكل رزقنا ورزق بلال في الجنة فاذا علم أن هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجى من موافقة من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا المعنى لا ينبغي أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق أخيه *ومن أحسن آداب الفقير الطالب انه اذا أفطر وتناول الطعام ربما يجد

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوّز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار وقال رجل اللهم اجعلنى ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغنى المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتنى خلقته خنزيرا رأيتنى خلقته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال عمر رضى الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم عبدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك ربى ولا ربتى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وأمثاله مما يدخل فى الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم انه اذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهى على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما فى القرآن الا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامى يفرح بالخوض فى العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم فى العلم بما هو كفر وهو لا يدرى وكل كبيرة يرتكبها العامى فهى أسلم له من أن يتكلم فى العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال أنس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلونى ولا تسألونى عن شىء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من أبى فقال أبوك حذافة فقام اليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفى الجنة أنا أم فى النار فقال لا بل فى النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام اليه عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموفق وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى

الله

باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن أداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها أو بآيات يتلوها أو باذكار واستغفار يأتى به فقد ورد فى الخبر أذيبوا طعامكم بالذكر * ومن مهام آداب الصوم كتمانه مهما أمكن الا ان يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالى ظهر أم بطن

(الباب الثانى والاربعون فى ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة)

الصوفى بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه واتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة والصوفى موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه أمرا له قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين فتدخل على الصوفى أمور

الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية المتلاعنين الا لكثرة السؤال وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بينى وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم فى حروف القرآن يضاهى حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون * ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون * الذى استدرج عباده من حيث لا يعلمون * وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون * وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون * وعرفهم انه لا يخفى عليه شئ مما يسرون وما يعلنون * وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون * فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * والصلاة على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه النبيون * وعلى آله وأصحابه الائمة المهديون * والسادة المرضيون * صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون * ويحظى ببركتها الاولون والآخرون * وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة * وانها لمستكنة فى طى الفؤاد * استكنان الجمر تحت الرماد * ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد * كاستخراج الحجر النار من الحديد * وقد انكشف للناظرين بنور اليقين * أن الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين * فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتنى من نار وخلقته من طين * فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار * والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد * وبهما هلك من هلك وفسد من فسد * ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب * مما يسوق العبد الى مواطن العطب * فما أحوجه الى معرفة معاطبه ومساويه * ليحذر ذلك ويتقيه * ويميطه عن القلب ان كان وينفيه * ويعالجه ان رسخ فى قلبه ويداويه * فان من لا يعرف الشر يقع فيه * ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه * ما لم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد فى هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ثم القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته ثم بيان السبب فى كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذى به ينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب وبالله التوفيق

العبادة لوضع حاجته وضرورة بشريته ويخف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فتنور العادات وتتشكل بالعبادات ولهذا ورد نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة (وقد ورد) أرض الجنة قيعان نباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما

(بيان ذم الغضب)

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال لاتغضب ثم أعاد عليه فقال لاتغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لى قولا وأقلله لعلى أعقله فقال لاتغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لاتغضب وعن عبد الله بن عمر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذنى من غضب الله قال لاتغضب وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذى لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يابنى اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة فى قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذى لايغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لاتغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لاتغضب قال لاأستطيع ان لاأغضب انما أنا بشر قال لاتقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ماغضب أحد الا أشفى على جهنم وقال له رجل أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يبعدنى من غضب الله قال لاتغضب (الآثار) قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع فى النار وعن ذى القرنين انه لقى ملكا من الملائكة فقال علمنى علما أزداد به ايمانا ويقينا قال لاتغضب فان الشيطان أقدر مايكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولاتكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان فى صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فانى ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال انى أنا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال انى الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شئ قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم واذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما أعجزنى بنو آدم فلن يعجزونى فى ثلاث اذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا واذا غضب قال بما لايعلم وعمل بما يندم ونبخله بما فى يديه ونمنيه بما لايقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال اذا لاتذله الشهوة ولايصرعه الهوى ولايغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله ابن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بأمانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله أن لاتعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولاتجاوز به خمسة عشر سوطا وقال على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر ابن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ماتناله منى غدا وقال بعضهم لابنه يابنى لايثبت العقل عند الغضب كما لاتثبت روح الحى فى التنانير

صلحا العمارة الدارين والله تعالى ركب الآدمى بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الارضين والسموات وجعل عالم الشهادة ومافيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمى قال الله تعالى خلق لكم مافى الارض جميعا فكون الطبائع وهى الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للآدمى يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل الى المعدة وفى المعدة طباع أربع وفى الطعام طباع أربع فاذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة

المحمودة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم سماه في كتابه * اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب * وأما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر ولذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال * أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب * وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة

فيعتدل المزاج ويأمن
الاعوجاج واذا أراد الله
تعالى افناء قالب وتخريب
بنية أخذت كل طبيعة
جنسها من المأكول فتميل
الطبائع ويضطرب المزاج
ويسقم البدن ذلك تقدير
العزيز العليم (روى) عن
وهب بن منبه قال وجدت
في التوراة صفة آدم عليه
السلام اني خلقت آدم
وركبت جسده من أربعة
أشياء من رطب ويابس
وبارد وسخن وذلك لاني
خلقته من التراب وهو
يابس ورطوبته من الماء
وحرارته من قبل النفس
وبرودته من قبل الروح
وخلقت في الجسد بعد هذا
الخلق الاول أربعة أنواع
من الخلق هن ملاك الجسم
باذني وبهن قوامه فلا يقوم
الجسم الا بهن ولا تقوم
منهن واحدة الا باخرى منهن
المرة السوداء والمرة

مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم وانما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل في ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا واذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر الى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسفله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمر بالثمرة فهذا أثره في الجسد وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وأنا أغير من سعد وان الله أغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور

الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذه الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التي جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأهم الامور في الطعام ان يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر الامر وأتعب طلب الحلال * ومن أدب الصوفية

يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات فى حق المكتسب الذى لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ماهو وسيلة الى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضرورى ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب فى غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها * (أما القسم الاول) ليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله فى الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ فى الباطن وينتهى ضعفه الى ان لا يظهر أثره فى الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لان ما صار ضروريا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه * (وأما القسم الثانى) فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب فالرياضة فى هذا تنتهى الى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فان قلت الضرورى من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت لا يغضب على أحد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة فى مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى أن الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب فى أحوال مختلفة ولا تدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها منى صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت فى الغضب والرضا فقال اكتب فوالذى بعثنى بالحق نبيا ما يخرج منه الا حق وأشار الى لسانه فلم يقل انى لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق أى لا أعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكنى دعوت الله فأعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بالخير ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملنى على الشر وقال على رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التى لا بد له فى دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغضب فيما

أن لا يأكل الطعام الا مقرونا بالذكر فيقرنه فريضة وقته وأدبه ويرى أن تناول الطعام والماء ينتج من اقامة النفس ومتابعة هواها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه (روت) عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام فى ستة نفر من أصحابه فجاء اعرابى فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه لو كان يسمى الله لكفاكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسى ان يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره ويستحب ان يقول فى أول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة يتم ويشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول فى أول نفس الحمد لله اذا شرب وفى الثانية الحمد لله رب العالمين وفى

هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما كان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فأنا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم أقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شيء قدير والحمد لله وحده

(بيان الاسباب المهيجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وازالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وانما اختلفوا في الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم

الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكان للمعدة طباعا تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فللقلب أيضا مزاج وطباع لارباب التفقد والرعاية واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من القسمة المتناولة تارة تحدث من القسمة حرارة الطيش بالنهوض الى الفضول وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف الى القلب أسرع

الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل * أما العلم فهو ستة أمور * الاول أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه * الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب أعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه * الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه * الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والانبياء في عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل * الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا

منه الى القالب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت لموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقي الاسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء * حكي أن الشيخ محمد الغزالي لما رجع الى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصده زائرا فصادفه وهو في صحراء له يبذر الحنطة في الارض فلما رأى الشيخ محمدا جاء اليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال لاني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيأ فلا أحب أن أسلمه الى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر

في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين فهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرره على قلبه * السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه * واما العمل فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغيظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض وكأن هذا اشارة الى السجود وتمكين أعز الاعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروى ان عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروى ان أباذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني انك اليوم عيرت أخاك بامه فقال نعم فانطلق أبوذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فأعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فأعطي الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك أي لا تعطل الحدود * وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه

(وكان) بعض الفقراء عند الاكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بانوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول أنا آكل وأنا أصلي يشير الى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه وقت الاكل ويرى للذكر وحضور القلب في الاكل أثرا كبيرا لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الاكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كان

كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء (الآثار) قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل ابن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله أوصني قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فأمسك لسانك ويدك

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه وأشار بهذا الى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم أشار بهذا الى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا أهل بيته وقال أبو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيؤن الي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيأ فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا أصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين أي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا

خاطبهم

تحمها حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل الى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الاعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الاعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الاعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح الغذاء واستجذاب القوة منه للاعضاء وانقسامه الى الدم والثفل واللبن لتغذية

خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبي رباح يمشون على الارض هونا أى حلما وقال ابن أبي حبيب فى قوله عز وجل وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما أى اذا أوذوا صفحوا وروى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلنى منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروى انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلتان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيى الغنى المتعفف ابا العيال التقى ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف الغبى وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا أسئ الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (الآثار) قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على رضى الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهى الناس بعبادة الله واذا أحسنت حمدت الله تعالى واذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفى دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ان عرفتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال على رضى الله عنه ان أول ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم أى الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أى الرجال أسخى قال من بذل دنياه لاصلاح دينه وقال أنس بن مالك فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدنى بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن أوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصر عنى فأنا خير منه وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى وقال رجل لعمر ابن عبد العزيز اشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بينى وبين قوم منازعة فى أمر

المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر فى ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدرة فيه من الذكر ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب ان يدعو فى أول الطعام ويسأل الله تعالى ان يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عونا لنا على ما تحب وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغا لنا فيما تحب

(الباب الثالث والاربعون فى آداب الاكل)

فمن ذلك أن يبتدئ بالملح ويختم به روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى رضى الله عنه يا على ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون

وانى أريد أن اتركه فأخشى أن يقال لى ان تركتك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن اليه فقد جعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكننى أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغنى انك ذكرتنى بسوء قال أنت اذا أكرم على من نفسى انى اذا فعلت ذلك اهديت لك حسناتى وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال معك يدخل لا معى ومر المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان كثرت منه على الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته عرضى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفى * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

(بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام)

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصى وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه وأما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان ما قالا فهو على البادئ ما لم يعتد المظلوم وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصى به والذى يرخص فيه ان تقول من أنت وهل أنت الا من بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت الا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت الا من بنى أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى فى ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من أحد الا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحقرك فى عينى بما فعلت وأخزاك الله وانتقم منك فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان بين خالد بن الوليد

والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس وروت عائشة رضى الله عنها قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الابيض الذى يكون فى العجين فجئنا بملح فوضعه فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية فى الربط وغيرها (روى جابر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدى وروى أنه قيل يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الاكل على السفر وهو سنة

وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له ان يقوله والدليل على جواز ماليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنى والفحش والسب ماروت عائشة رضي الله عنها ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن اليه فاطمة فجاءت فقالت يارسول الله أرسلني اليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يابنية أتحبين ما أحب قالت نعم قال فأحبي هذه فرجعت اليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيأ فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فمازالت تذكرني وأنا ساكتة انتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة أبي بكر يعني انك لاتقاومينها في الكلام قط وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم فأثبت للمظلوم انتصارا الى أن يعتدي فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ماوراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لايقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب أربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد مالم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان أن لايعاقب أحدا في حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا الغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه * ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لعاقبتك

(القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور * الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان أصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه ان شاء الله تعالى * الثاني أن تزيد على اضمار الحسد في الباطن وتشمت بما أصابه من البلاء * الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك * الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له * الخامس أن تتكلم فيه بما لايحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره * السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه * السابع ايذاؤه بالضرب ومايؤلم بدنه * الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أورد مظلمة وكل ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة عن المقومي باسناده الى ابن ماجه الحافظ القزويني قال أنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن يونس بن الفرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قال فعلام كانوا يأكلون قال على السفر ويصغر اللقمة ويجود الاكل بالمضغ وينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير متكئ ولا متعزز نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل الرجل متكئا (وروى) أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجثا رسول الله صلى الله عليه

حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصى الله به ولكن تستثقله فى الباطن ولا ينتهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضى الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم فى واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى أن يبقى على ما كان عليه فان أمكنه أن يزيد فى الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة * أحدها ان يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل * الثانى أن يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل * الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثانى هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم ان معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك أفردناه قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وقال الله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم فى ذلك غضبا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أو بدرنى فأخذ بيدى فقال يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يا رب أى عبادك أعز عليك قال الذى اذا قدر عفا وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذى يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبى صلى الله عليه وسلم ان يجلس وأراد أن يأخذ بمظلمته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى ان يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف

لا تثريب

وسلم على ركبتيه يأكل فقال اعرابى ما هذه الجلسة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلقنى عبدا ولم يجعلنى جبارا عنيدا * ولا يبتدئ بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ روى حذيفة قال كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحد يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله وان كان المأكول تمرا أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمى وما يؤكل على الطبق ولا فى كفه بل يضع ذلك على ظهر

الدنانير تبكي فقال لا ولكن تمثلتني واياه بين يدي الله عز وجل وأشرف عقلي على ادحاض حجته بكان برحمته
وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه
عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم
اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أيها
الامير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين أكمل له
أمره وجمع له أهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن
أصحابه قال الحكم وأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع
الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد
الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا وأتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى
قال ان الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروى أن زيادا أخذ
رجلا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخاله فقال له ان جئت بأخيك والا ضربت عنقك فقال أرأيت ان جئتك
بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين
ابراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا
سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

(فضيلة الرفق)

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق
والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر
ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة
الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال
يا عائشة انه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد
حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وما من أهل
بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله اذا أراد
بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله
عليه وسلم ايما وال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على
النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله
عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال
يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه
فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا قال نعم قال اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان
سوى ذلك فانته وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب
فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا
ينزع من شيء الا شانه (الآثار) بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن
يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أيتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة
على الخير أيتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شيء أحب الى الله ولا أعز من حلم امام ورفقه وليس جهل

باسلات القصعة وهو مسحها
من الطعام قال أنس رضي
الله عنه أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم باسلات
القصعة ولا ينفخ في الطعام
فقد روت عائشة رضي الله
عنها عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال النفخ في الطعام
يذهب بالبركة وروى عبد
الله بن عباس انه قال لم يكن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينفخ في طعام ولا في
شراب ولا يتنفس في الاناء
فليس من الادب ذلك
والخل والبقل على السفرة
من السنة قيل ان الملائكة
تحضر المائدة اذا كان عليها
بقل روت أم سعد رضي الله
عنها قالت دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
عائشة رضي الله عنها وأنا
عندها فقال هل من غداء
فقالت عندنا خبز وتمر
وخل فقال عليه السلام نعم
الادام الخل اللهم بارك في

ابغض

أبغض الى الله ولا أعم من جهل امام وخرقه واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثنى الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده وقال بعضهم ما أحسن الايمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شئ الى شئ مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناوأة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى أنه لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة أميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله وروى أن عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية أما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وان العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن أبي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لابد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيأ الا أعطوك باللين ما هو أفضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في أكثر الاحوال وأغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فان كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم ان للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيأ غير أنه اذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا

الخل فانه كان أدام الانبياء قبلي ولم يقفر بيت فيه خل ولا يصمت على الطعام فهو من سيرة الاعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهي ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجميع فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يفرغ القوم وليعذر فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى ان يكون له في الطعام حاجة * واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والارض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الادب وأهمه

فأردت أن أعرف عمالك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فأثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب أمتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي ان يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله أعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد (الآثار) قال بعض السلف أول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال اياك والكبر فانه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآيات واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال العامل

ان لا يأكل الا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ومن عادة الصوفية ان يلقم الخادم اذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم خادمه بطعام فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولي حره ودخانه واذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى أبو سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل طعاما قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة

فى كتابك ان أفعلك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى فالله الله فى أمرى حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال مافعل الكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه أطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء اساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ماحسدت أحدا على شئ من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ماأنساك بنى يعقوب نعم ولكن غمه فى صدرك فانه لايضرك مالم تعد به يدا ولا لسانا وقال أبو الدرداء ماأكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

كل العداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابى مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذى أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهى لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر فى الاسامى بعد فهم المعانى وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فأما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هى نعمة بل من حيث هى آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التى نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة والى هذا أشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما فى قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا أى لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى فى معرض الانكار أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس أمة واحدة الى قوله الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم قيل فى التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ أراد كل واحد منهم أن

غفر له ماتقدم من ذنبه ويتخلل فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان والايمان مع صاحبه فى الجنة ويغسل يده فقد روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفى يده غمر لم يغسله فاصابه شئ فلا يلومن الا نفسه ومن السنة غسل الايدى فى طست واحد روى ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترعوا الطسوس وخالفوا المجوس ويستحب مسح العين ببلل اليد (روى) أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأتم فأشربوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم فانها مراوح الشيطان قيل لابى هريرة فى الوضوء وغيره

ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم * وأما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لانه اذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمرين أحدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو أنه اذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ أي ان وجدت في

قلبك

قال نعم في الوضوء وغيره وفي غسل اليد يأخذ الاشنان باليمين وفي الخلال لا يزدرد ما يخرج بالخلال من الاسنان وأما ما يلوكه باللسان فلا بأس به ويجتنب التصنع في أكل الطعام ويكون أكله بين الجمع كأكله منفردا فان الرياء يدخل على العبد في كل شئ وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا قال نعم رأيته يتصنع في الاكل ومن تصنع في الاكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وان كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك ولكثر

قليلاً شيئاً فلا تعمل به و يبعد أن يكون الانسان مريدا اللحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر ومامن انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم و يكاد ينجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو أن يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك مالم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه * وأما مراتبه فأربع (الاولى) أن يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث (الثانية) أن يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها (الثالثة) أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما (الرابعة) أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه مثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

(بيان أسباب الحسد والمنافسة)

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه أو الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيما فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الاسباب *(السبب الاول) العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان و ربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وانها لاجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده و ربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه و بالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد

الاستغفار والحزن و يبكي على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك و يقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش ويجتنب الدخول على قوم في وقت أكلهم فقد ورد من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما وبمعناه لفظا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا الا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته و يستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير اذن صاحب الدار و يجتنب المضيف التكلف الا أن يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا واذا أكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه ان كان بعد المغرب أفطر عندكم الصائمون وأكل

بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضى الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر فى ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجرى مجراه * (السبب الثانى) * التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه * (السبب الثالث) * الكبر وهو أن يكون فى طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة فى اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف الى مساواته أو الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم * (السبب الرابع) * التعجب كما أخبر الله تعالى عن الامم السالفة اذ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة وقال تعالى أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآية * (السبب الخامس) * الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم الى أغراض له (السبب السادس) حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له فى أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه فى المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب فى هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم (السبب السابع) خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب أمور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث فى النفس ورذالة فى الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة

طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (وروى أيضا) عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الادب ان لا يستحقر ما يقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ندرى أيهم أعظم وزرا الذى يحتقر ما يقدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده ان يقدمه * ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للاعراس والتعازى فما عمل للنوائح لا يؤكل وما عمل لاهل العزاء لا باس به وما يجرى مجراه واذا علم الرجل من حال أخيه انه يفرح بالانبساط اليه فى التصرف فى شئ من طعامه فلا حرج ان ياكل من طعامه بغير اذنه قال الله تعالى أو صديقكم (قيل) دخل

لان الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا ثبت في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه)

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الاغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى أغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص فأصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك أيضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لان أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال أعيان وأجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة

قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا فدخل سفيان ففرح وقال ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعي الى طعام فالاجابة من السنة وآكد ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وان علل ذلك تصنعا ورياء فهو أقبح من التكبر (روى) أن الحسن بن علي مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الارض وهو على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المتكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الاكل مع الاخوان

فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن
يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم
مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك
الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه
الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه
ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل
زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى
أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو
أبدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية
فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم
يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا
حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور أن
يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال
الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة
جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان
اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى
السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء
بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي
جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية
بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة
لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب
ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة أيضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى
ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور اذ العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع
والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة
يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق
بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي
مع المحرومين في أسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض
الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين
بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما
كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله
الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين
الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته
وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا

أفضل من الاكل مع العيال (روى) ان هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم

(الباب الرابع والاربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه)

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكان النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة

منه وما عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال أعظم سرور على ابليس الذي هو أعدى أعدائك لانه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقام اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال يارسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صيام الا أني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم وقال أبو موسى قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله قد جعل الله له مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك أخاك وحملك على الكراهة حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه أي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهما الى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشد من الاولى فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيأ الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه

المدح

العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد (وحكى ان سفيان الثوري) رضي الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت أني ألبسه لله والآن فما أغيره الا لنظر الخلق فلا أنقض النية الاولى بهذه والصوفية خصوا بطهارة الاخلاق وما رزقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والاهلية والاستعداد الذي هيأه الله تعالى لنفوسهم وفي طهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم وطعامهم

المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هى أدوية الحسد وهى نافعة جدا الا انها مرة على القلوب جدا ولكن النفع فى الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون فى العالم شئ على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع فى أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد أمرين اما بان يكون ما تريد أو بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثانى فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلى فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغنى وسيأتى تفصيل مداواة هذه الاسباب فى مواضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلابد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة فى قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

(بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب)

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوى ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فأما اذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما فى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك فى أغلب الاحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهى أمره

مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمنامهم لان التناسب الواقع فى النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل فى الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشئ من التناسب مع شرح الهوى وما عندهم من التطلع الى التناسب رغم حال سلفهم فى وجود التناسب * قال أبو سليمان الدارانى يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته فى بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغى ان يكون مأكوله من جنسه واذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف أو وجود هوى كامن فى أحد الطرفين اما فى طرف الثوب لوضع نظر الخلق واما فى طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج

الى أن لا يلتفت قلبه الى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعال الله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته أعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى أنه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروى عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد أن لا يبغي والاولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد أن يعفى عن العبد في ارادته اساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال أحدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه * الثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا * الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان أحسنت ساعة أساءت سنة وان أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما أصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يغن بالامس تمني أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا ودعاؤهم ثبورا هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى

الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس أبو سليمان الداراني ثوبا غسيلا فقال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثيابهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الابواب (وكان) أبو عبد الله الرقي مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان اذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا آكل بحق المسكنة ثم يخرج بين العشاءين يطالب الكسر من الابواب وهذا شان من لا يرجع الى معلوم

من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله أما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لأعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء

ولا يدخل تحت منة (حكى) ان جماعة من أصحاب المرقعات دخلوا على بشر ابن الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله لنظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس المرقعة فكان أحدهم يبقى زمانه لا يطوي غير ثوبه الذي عليه (وروى) أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رؤس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب ان أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون

فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا واملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ألا اريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس اناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون علي منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم لك احد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم الا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لادنى اوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يا لاشيء اني لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروى في اخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له اي شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك أهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروى ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من

احدهما

الشبع (وحكي) عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لا تكاد تجده الا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة فاردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت أن لا ألبس الا ثوبا واحدا الى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات أبو يزيد ولم يترك الا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه الى صاحبه (وحكي) انما عن الشيخ حماد شيخ شيخنا انه بقي زمانا لا يلبس الثوب الا مستأجرا حتى انه لم يلبس

أحدهما ونجوت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهي جعلت لكل شئ مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا

على ملك نفسه شيأ (وقال أبو حفص الحداد) اذا رأيت وضاءة الفقير في ثوبه فلا ترج خيره وقيل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجنيد وعليه مرقعته قيل كان وزن فرد كم له وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزي والخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزي الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون ان يجعلوا بينهم وبين التراب حائلا ويكون لبس أبي حفص الناعم بعلم ونية

الدنيا يحبكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تتناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك لاموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأتونا نبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال علي رضي الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله انما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكله وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة

يلقى الله تعالى بعصتها وهكذا الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يعترض عليهم غير أن لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة وأما لبس الناعم فلا يصلح الا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفي شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية في ذلك فلحسن النية في ذلك وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعومته بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك انه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية

وان

وان رأس مال الدنيا الهوى و ربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال و يقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها اما أن تزيد واما أن تنقص وقال سفيان اما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها وقال أبو سليمان الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابى حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا و يطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجىء فى طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال أبو حازم اياكم والدنيا فانه بلغنى انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفى ذلك قيل

وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما أن ترد الودائع

و زار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها الا من أحب شيأ أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا فى ذلك

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما

كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضا فى ذلك

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى انتقال

وما دنياك الا مثل فىء * أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف ابن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل

ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم

ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفى ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقيل أيضا

ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

أفنى القرون التى كانت منعمة * كر الجديدين اقبالا وادبارا

أو جليسة فى الثوب الذى أدخله الله عليه يخرجه الا ان يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسعه الا أن يلبس الثوب الذى ساقه الله اليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمد تكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير و يلبس العمامة بدانق وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة و يتطيلس وكان الشيخ على ابن الهيتى يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا خشنا كآحاد العوام ولكل فى لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الاقدام فى ذلك يطول (وكان) الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك * قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
يامن يعانق دنيا لابقاء لها * يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق في الفردوس أبكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو امامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي ان لايعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن غير حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه ياأمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال أبو سليمان الداراني اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ماترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه مايبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ماتقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال ياأمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يابني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة وأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لايشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله مارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله مامر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذي عليه أكثر من الذي له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لايفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا

يساق اليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق الى بواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لانلتقي الاأحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يحب أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ الى الله والافتقار اليه ويسأله أن يريه أحب الزي الى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض بهوى في زي بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه

قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا أبلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر
ابن عبد الله من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا
يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعني الحرص
حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز
وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا ستة أشياء مطعوم
ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف
المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات
الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها
ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

(بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ولا
تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها فأصبحت
كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت
ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى
وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من
غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو
هل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم
يقال قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت
يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان
وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت
نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك
وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك وقال
بعضهم لبعض الملوك إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطي حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو
على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تفجعه
بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها
إذ أضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له إذ أبكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد
فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في
الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا *وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن
الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن
الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من
لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة
طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت
بآمالها وسوفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس
لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف
بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه

يصبر على الدون فكيف
يصبر على الضعف ومن الناس
من يسبق إليه علم تأسف
بدخل عليه من الملبوس
فلبسه محمود فيه وكل
أحوال الصادقين على
اختلاف تنوعها مستحسنة
قل كل يعمل على شاكلته
فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا ولبس الخشن من
الثياب هو الأحب والأولى
والأسلم للعبد والأبعد من
الآفات (قال مسلمة بن عبد
الملك) دخلت على عمر بن
عبد العزيز أعوده في مرضه
فرأيت قميصه وسخا فقلت
لامرأته فاطمة اغسلوا
ثياب أمير المؤمنين فقالت
نفعل إن شاء الله قال ثم
عدته فإذا القميص على
حاله فقلت يا فاطمة ألم
آمركم أن تغسلوه قالت
والله ما له قميص غير هذا
(وقال) سالم كان عمر بن
عبد العزيز من ألين الناس

حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها اذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعزانه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلائى في الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابتى رجلاى وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الارض أبيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الارض أحد أغنى منى وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذنى ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فانما هى زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك فأزوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى انى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل الغرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور اذاهم منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة

لباسا من قبل ان يسلم اليه الخلافة فلما سلم اليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بطمار له رثة فلبسها (وقيل) لما مات أبو الدرداء وجد فى ثوبه أربعون رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف (وقال زيد ابن وهب) لبس على بن أبى طالب قميصا رازيا وكان اذا مدكمه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتعيبونى على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر ان يقتدى بى المسلم (وقيل) كان عمر رضى الله عنه اذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة فى الدنيا ونور فى الآخرة واياكم ان تفسدوا دينكم بحمد

موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلا والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد * وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لأمر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه لياليه وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه خالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال على كرم الله وجهه فى خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كقوم فى سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم فرحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

(بيان صفة الدنيا بالامثلة)

الناس وثنائهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين فلما نظر اليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل له فى ذلك فقال خشيت ان يعرض عنى ربى فتواضعت له لاجرم لا يبيتان فى منزلى فاتخوف المقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما الى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له نعلان مخصوفتان وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الصوف واحتذى المخصوف وأكل مع العبيد واذا كانت النفس محل الآفات فالوقوف على دسائسها وخفى شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالاليق والاجدر والاولى الاخذ بالاحوط وترك ما يريب الى ما لا يريب ولا يجوز للعبد التحول فى السعة الا بعد اتقان علم

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال

أحلام نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها * ان اغترارا بظل زائل حمق

وقيل ان هذا من قوله ويقال ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هنالك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول

الا انما الدنيا كظل ثنية * ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها) تشبه خيالات المنام وأضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم *(مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها واهلاكها لبنيها) اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر (مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها) اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلاء بن زياد رأيت في المنام عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من أنت قالت أو ما تعرفني قلت لا أدري من أنت قالت انا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت ان أحببت ان تعاذ من شري فأبغض الدرهم وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي أقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل ان أقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي أي رب أين اتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل ألحقوا بها اتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب واذا لا يمر بها أحد الا جرحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس واذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني

السعة وكمال تزكية النفس وذلك اذا غلبت النفس رغبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح والعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها الا يرون النزول الى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا (وقد قيل) من رق ثوبه رق دينه وقد رخص في ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع (روى) علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال النبي عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لا بهوى نفسه في ذلك غير

حتى تبغض الدرهم قال فقلت من أنت قالت انا الدنيا *(مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها) اعلم ان
الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيأ وهى ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهى
ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهى أيام حياتك فى الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه
الى طرفى الازل والابد حتى تعلم انه أقل من منزل قصير فى سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا
وانما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها
ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت أيامه فى ضر وضيق أو فى سعة ورفاهية بل لا يبنى
لبنة على لبنة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة
يبنى بيتا من جص فقال أرى الامر أعجل من هذا وأنكر ذلك والى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول
على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من
قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور
والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان *(مثال آخر للدنيا فى
لين موردها وخشونة مصدرها) اعلم ان أوائل الدنيا تبدو وهينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها
كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فى الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب
على رضى الله عنه الى سلمان الفارسى بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فأعرض عما
يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون
لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام *(مثال آخر للدنيا فى تعذر الخلاص
من تبعاتها بعد الخوض فيها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء هل
يستطيع الذى يمشى فى الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون فى نعيم الدنيا
بأبدانهم وقلوبهم منها طاهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم
فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها فكما أن المشى على الماء يقتضى بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك
ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه
السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ
بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير
خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم ان الزق ما لم
ينخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسها
النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقول النبى صلى الله عليه وسلم انما بقى من الدنيا البلاء والفتنة وانما مثل عمل
أحدكم كمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله *(مثال آخر لما بقى من الدنيا
وقلته بالاضافة الى ما سبق) قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله
الى آخره فبقى متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع *(مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها
الى بعض حتى الهلاك) قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد
عطشا حتى يقتله *(مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها) اعلم ان شهوات
الدنيا فى القلب لذيذة كشهوات الاطعمة فى المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من
الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت فى المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان ألذ طعما
وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا وكذلك كل شهوة فى القلب هى أشهى والذ وأقوى

مفتخر به ومختال فاما من
لبس الثوب للتفاخر بالدنيا
والتكاثر بها فقد ورد فيه
وعيد (روى) أبو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ازرة المؤمن الى
نصف الساق فيما بينه وبين
الكعبين وما كان أسفل من
الكعبين فهو فى النار من
جر ازاره بطرا لم ينظر الله
اليه يوم القيامة فبينما رجل
ممن كان قبلكم يتبختر فى
ردائه اذ أعجبه رداؤه فخسف
الله به الارض فهو يتجلجل
فيها الى يوم القيامة والاحوال
تختلف ومن صح حاله بصحة
علمه صحت نيته فى مأكوله
وملبوسه وسائر تصاريفه
وفى كل الاحوال يستقيم
ويسدد باستقامة الباطن
مع الله تعالى وبقدر ذلك
تستقيم تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله تعالى
*(الباب الخامس والاربعون
فى ذكر فضل قيام الليل)*

فتنتها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل مافقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالام يصير قال الى ما قد علمت يارسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الام يصير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمونه حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني أريد أن أسألك واستحيي قال فلا تستحي واسأل قال اذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم *(مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم بم يرجع اليه *(مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها)* اعلم ان أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الاماكن وألينها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الاصداف والاحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة لاا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراد فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل الى المركب بثقل ما أخذه من الازهار والاحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الازهار وكمدت تلك الالوان والاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان

قال الله تعالى اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان نزلت هذه الآية في المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها وأصبح المسلمون بين محدث وجنب وأصابهم الظمأ فوسوس اليهم الشيطان انكم تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون الظفر عليهم فأنزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادي فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الدواب وملؤا الاسقية ولبد الارض حتى ثبتت به الاقدام

الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أقبح من يزعم انه بصير عاقل أن تغره أحجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشئ من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل * (مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم) * قال الحسن رحمه الله بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء فقالوا يا هذا فقال علام أنتم فقالوا على ما ترى فقال أرأيتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيأ قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيأ قال فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى أين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه شيأ وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل * (مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها) * اعلم ان مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

* (بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد) *

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا أن جميع مالك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام * (القسم الاول) ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في لذته لانه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى

قال الله تعالى ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل النعاس رحمة وأمنة للصحابة خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين والنعاس قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو أمنة لقلوبهم عن منازعات النفس لان النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب اذ في شكايتها وتعبها تكدير القلب وباستراحتها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطأة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد

الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني فى الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل مايدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك أضافها الى الدنيا الا أنا لسنا فى هذا الكتاب نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا *(القسم الثانى)* وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل مافيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا أو فى محل الحاجة نظر طويل اذ روى عن عمر رضى الله عنه انه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا أنفق عليه درهمين فكتب اليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عويمر قد كان لك فى بناء فارس والروم ماتكتفى به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فاذا أتاك كتابى هذا فقد سيرتك الى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه *(القسم الثالث)* وهو متوسط بين الطرفين كل حظ فى العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل مالابد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التى بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الادناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت * أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهى من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد فى الاخبار ان أعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث وأما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى أن يدخل أوان الرؤية فى الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة فى الرجوع اليه ولذلك قيل

ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهى الذكر والفكر والعمل الذى يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى أسباب فالقدر الذى لابد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة وان أخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين فى حظوظها الا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم الى مايعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما والى

فيكون ثمان ساعات النوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد فى أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره فى الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك اذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والانس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث فى المزاج فان نقص عن الثلث يضر بالدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر نقصانه لان طبيعة الروح والانس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تقصر مدة طول الليل بوجود الروح فتصير

ما يحول بينه و بين الدرجات العلا ويعرضه لطول الحساب و يسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف
في عرصات القيامة لاجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال أيضا حلالها عذاب الا انه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن
الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة
خسيسة لا بقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية
كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها
فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا
ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر الى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه وهو
المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم الذي تسئل عنه أشار به الى الماء البارد
والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر
رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره في كفه ثم امتنع عن
شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا
وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على
حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ
الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روي أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم
فكان يطوي أياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء
ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة
الفواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من
الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فأقول الاشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور
أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة
المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر
والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله
وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة
أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن أو الاشتهار بالزهد فقد صار من الدنيا
بالمعنى وان كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالاكل
والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة
به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا
مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر
ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر
عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة أمور
وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقد عرفت
أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله

بالروح أوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لاهل الروح (نقل) عن على ابن بكار أنه قال منذ أربعين سنة ما أحزنني الا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال أبو سليمان الداراني أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل اللهو في لهوهم وقال بعضهم ليس في الدنيا شئ يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لاهل الليل (وقال) بعض العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين في الاسحار فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد الى قلوب

ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الى ربي ونعى الى نفسي ثم قال أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني أكره الشهرة والوحدة أحب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم أنك مني على بال وان لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وأدعو لك ان شاء الله انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي ففارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج اذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصدت تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم الا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هموم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك أما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما المعادن فيطلبها للآلات والاواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة وأما الانسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس

نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبرتهم والثاني لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالث أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه فالصادق المريد اذا خلا في ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره في حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالانوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الانوار المجتمعة من الليل ويصير قالبه في قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته * وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ويجوز أن يكون المعنى أحدهما المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين في القلب يزهر بكثرة

فيها

فيها التعظيم والاكرام وهو الذى يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هى الاعيان التى يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهى البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هى أعيان الدنيا الا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثنا وحب التكاثر والتفاخر وهذه هى الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهى الاعيان التى ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الاعيان التى سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التى يسير بها الى الله تعالى وأعنى بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل فى طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد فى الدنيا فى نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل اليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل الا القدر الذى يقوى به على المشى فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير فى سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا لضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام فى البطن وبين اخراجه من البطن فى أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضرورى وأمر المسكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا فى كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الاشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والاعمال التى ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو أن الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقا والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هى أصول الصناعات وأوائل الاشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء أما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشى والخيل أيضا للمطعم والمركب والاقتناص نعنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النبات والراعى يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمى وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمى ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى

زيت العمل بالليل فيزداد المصباح اشراقا وتكتسب مشكاة القلب نورا وضياء كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وقال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فنور اليقين من نور الله فى زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب وأيضا يلين القلب بنار النور ويسرى لينه الى القالب فيلين القالب للين القلب فيتشاكلان لوجود اللين الذى عمهما قال الله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين فاذا امتلأ القلب بالنور ولان القالب

الى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات إنما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب
أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة أنواع أخر من
الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان
وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فأما
آحاد الحرف فكثيرة وأما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات ثم ان
الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين أحدهما حاجته الى
النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة
أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة
أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة
كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها
وتحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر
الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة
الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى أبنية محكمة
ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى
الجيران من اللصوصية وغيرها لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنزل فتفتقر أهل المنازل
الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع
الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية
للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى الى الخصومة بخلاف
الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في
المنزل وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك
الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد
يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك
ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من
هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض لتمكن
القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم
والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا
الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسية
لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا
لصناعة أخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا
تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس
واستضر الناس فمست الحاجة الى أن يصرف الى معايشهم وأرزاقهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها
ان كانت أو تصرف الغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من
أموال المصالح وان أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة
فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات أخر اذ يحتاج الى من يوظف
الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة

بما يسري فيه من الانس
والسرور ويندرج الزمان
والمكان في نور القلب
ويندرج فيه الكلام
والايات والسور وتشرق
الارض أرض القلب بنور
ربها اذ يصير القلب سماء
والقالب أرضا ولذة تلاوة
كلام الله في محل المناجاة تستر
كون الكائنات والكلام
الجيد بكونه ينوب عن سائر
الوجود في مزاحمة صفو
الشهود فلا يبقى حينئذ
للنفس حديث ولا يسمع
الهاجس حسيس وفي مثل
هذه الحالة يتصور تلاوة
القرآن من فاتحته الى خاتمته
من غير وسوسة وحديث
نفس وذلك هو الفضل
العظيم * الوجه الثاني
لقوله عليه السلام من صلى
بالليل حسن وجهه بالنهار
معناه أن وجوه أموره
التي يتوجه اليها تحسن
وتتداركه المعونة من الله

والمستخرجون

والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصفة فى أخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والملبس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه أبواب أخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى أخرى وهكذا على التوالى فهذه هى الحرف والصناعات الا أنها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما ينتفع به وأعلاها الاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان اليها وهى الدور ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الركوب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا أن النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى آلته فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات والى أبيات يجمع اليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات ليترصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا ثم هذه الاموال التى تنقل لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد أن يشترى طعاما بثوب فمن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم

الكريم فى تصاريفه ويكون معانا فى مصدره وموارده فيحسن وجه مقاصده وأفعاله وينتظم فى سلك السداد مسددا أقواله لان الاقوال تستقيم باستقامة القلب

(الباب السادس والاربعون فى ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم)

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل القبلة منتظرا مجىء الليل وصلاة المغرب مقيما فى ذلك على أنواع الاذكار ومن أولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فانه اذا واصل بين العشاءين ينغسل عن

وأبقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة الى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهى معايشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير * أما اللصوص فمنهم من يطلب أعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد * وأما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بأن يكون طرارا أو سلالا الى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها * وأما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيأ فافتقروا الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالا وأفعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكنهم نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه * فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر الى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون ليكتسبوا ثم يكتسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فهو سفر لا ينقطع الا بالموت * وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا للامر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا بل السعادة فى ان يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر * وطائفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار طول الليل والنهار ويترددون فى الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دأبهم وحركتهم الى أن يدركهم

الموت

باطنه آثار الكدورة الحادثة فى أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له أثر وخدش فى القلوب حتى النظر اليهم يعقب كدرا فى القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر الى الخلق للبصيرة كالقذى فى العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الاثر ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فان الحديث فى ذلك الوقت يذهب طراوة النور والحادث فى القلب من مواصلة العشاءين ويقيد عن قيام الليل سيما اذا كان عريا عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا معين على قيام الليل * حكى لى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل فى الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء

الموت فيبقى تحت الارض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى أمثال ذلك ولا يعتبرون * وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع ما لهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس * وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم * ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها الى أواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الاعراض أيضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالاحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل

الآخرة ومرة في أثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فالوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل ومن ذلك التعوّد على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فان التعوّد على ذلك يعين على سرعة الانتباه الا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيستعمل النوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود والا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبون قيل نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس اذا أطعمت ووطنت على النوم استرسلت فيه واذا أزعجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار

ماخلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقى ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية هم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجى منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابى وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الامور تفريط ولا افراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط * وكاشف الضر بعد القنوط * الذى خلق الخلق * ووسع الرزق وأفاض على العالمين أصناف الاموال * وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال * وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذى نسخ بملته مللا وطوى بشريعته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال أعظم فتنها وأطم محنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبة أمره الا خسرا وبالجملة فهى لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التى لا يقوى عليها الا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل وننظر الآن فى هذا الكتاب فى المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما فى أيدى الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك فى أربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف فى المال ثم ذم الغنى ومدح

وهذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع لان الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظرات نظر الى تحت لاستيفاء الاقسام البدنية ونظر الى فوق لاستيفاء الاقسام العلوية الروحانية فارباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم الى فوق الى الاقسام العلوية الروحانية فاعطوا النفوس حقها من نوم ومنعوها حظها فالنفس بما فيها من ركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم قال الله تعالى هو الذى خلقكم من تراب وللآدمى بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتقاوم

الفقر ان شاء الله تعالى

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا *(الآثار)* روي أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بي سوأ فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وأن يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله

بسبب ذلك طبيعة في الانسان فارباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما حتى قال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر الى اللذات الروحانية الى ذرا حقيقتها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع (ومن ذلك) ان يغير العادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وان كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب الي من أن أرى وسادة فانها تدعوني الى النوم ولتغيير العادة في الوسادة والغطاء والوطاء

الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضا

لا يغرنك من المرء * قميص رقعه أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه * أثر قد خلعه أره الدرهم تعرف * حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا هو لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالي على ما وقع وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي ويروى أن رجلا قال لابي عبد ربه يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله

(بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم)

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح الا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو أن قصد الاكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس وأكيسهم فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة

تأثير في ذلك ومن ترك شيأ من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك بتيسير ما رام (ومن ذلك) خطة المعدة من الطعام ثم تناول ما يأكل من الطعام اذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أعان على قيام الليل لان بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار (قال) بعضهم لان أنقص من عشائي لقمة أحب الي من ان أقوم ليلة والاحوط ان يوتر قبل النوم فانه لا يدري ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم الا وهو على الطهارة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش

من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع
المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة
حدود الشريعة * وأما الاستخدام فهو أن الاعمال التى يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها
بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين
ومن لا مال له فيفتقر الى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب
الذى يحتاج اليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب اذا اشتغلت به اذ عليك
من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى غيره خسران * (النوع
الثالث) * ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور
المرضى ونصب الحباب فى الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهى من الخيرات المؤبدة الدارة بعد
الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين الى أوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال فى الدين سوى
ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق
وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة فى القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ
الدنيوية * (وأما الآفات) فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث (الاولى) أن تجر الى المعاصى فان الشهوات
متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة أن لا تجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من
المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية
المعاصى وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع فى شدة اذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء
أعظم من فتنة الضراء (الثانية) انه يجر الى التنعم فى المباحات وهذا أول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على
أن يتناول خبز الشعير و يلبس الثوب الخشن و يترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما
الصلاة والسلام فى ملكه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا
لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال
فيقتحم الشبهات و يخوض فى المراآة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه
و يتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وأن ينافقهم و يعصى
الله فى طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهى مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة
الى الخلق تثور العداوة والصداقة و ينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر
المعاصى التى تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدى أيضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال
والحاجة الى حفظه واصلاحه (الثالثة) وهى التى لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله
تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام فى المال ثلاث آفات أن
يأخذه من غير حله فقيل ان أخذه من حله فقال يضعه فى غير حقه فقيل ان وضعه فى حقه فقال يشغله اصلاحه عن
الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر فى جلاله وذلك يستدعى
قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسى و يصبح متفكرا فى خصومة الفلاح ومحاسبته وفى خصومة الشركاء ومنازعتهم
فى الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان فى الخراج وخصومة الاجراء على التقصير فى العمارة وخصومة
الفلاحين فى خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره فى
العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشى وهكذا سائر أصناف الاموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد
المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف مما يعثر عليه وفى
دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها والذى معه قوت يومه فى سلامة من جميع ذلك فهذه

فيه عجائب الغيوب وغرائب
الانباء فى الصديقين من
يكون له فى منامه مكالمة
ومحادثة فيأمره الله تعالى
و ينهاه و يفهمه فى المنام
و يعرفه ويكون موضع
ما ينفتح له فى نومه من الامر
والنهى كالامر والنهى
الظاهر يعصى الله تعالى
ان أخل بهما بل تكون
هذه الاوامر آكد وأعظم
وافعالا لان المخالفات الظاهرة
تمحوها التوبة والتائب من
الذنب كمن لا ذنب له وهذه
أوامر خاصة تتعلق بحاله
فيما بينه و بين الله تعالى
فاذا أخل بها يخشى ان
ينقطع عليه طريق الارادة
و يكون فى ذلك الرجوع
عن الله واستجلاب مقام
المقت فان ابتلى العبد فى
بعض الاحايين بكسل وفتور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد
الحدث يمسح أعضاءه بالماء

جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذا ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه انه على ذلك قدير

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحي اليه أتيناه يعلمنا مما أوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان ولو كان له الثاني لاحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد فقير ولا غني الا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصاري أن اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا ان يناوله اياه *(الآثار)* قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى

مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين وهكذا اذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد ان يستاك ويمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج في تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ففي ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه (روي) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الايمن كالملحود واما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم ان أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني أسلمت نفسي اليك

وانه من يياس مما في أيدى الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفى ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر * اقنع بعيشك ترضه
واترك هواك تعيش حر * فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنيا كم مالم تبتلوا به وخيرما ابليتم به ماخرج من أيديكم وقال ابن مسعود مامن يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدى الناس وروى ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ماقسم له من الرزق أو مارزق وكتب بعض بني أمية الى أبي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت وقيل لبعض الحكماء أى شئ أسر للعاقل وأى شئ أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ماقدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * أن الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لايدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من حال بساحتها * لم يلق فى دهره شيأ يؤرقه

وقد قيل أيضا

حتى متى أنا فى حل وترحال * وطول سعى وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لايدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لايخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفى ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ماتريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على مافاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على

ووجهت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك والجأت ظهرى اليك رهبة منك ورغبة اليك لاملجأ ولامنجى منك الااليك آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذى حكم فقهر الحمد لله الذى بطن فخبر الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله الذى هو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير اللهم انى أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس آيات من البقرة الاربع من الاول والآية الخامسة ان فى خلق السموات والارض وآية الكرسى وآمن الرسول وان ربكم الله وقل ادعوا الله وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو

الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدني

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها

فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها

ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك الدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان وقال بعض الحكماء من عجيب أمر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من أين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده الى رحا ضرسه فسبحان القدير الخبير

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور * الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الادام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من أهم الامور * الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه فان

الله أحد والمعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وان أضاف الى ما فسر أعشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم أيقظني في أحب الساعات اليك واستعملني بأحب الاعمال اليك التي تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (ورد) أن من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى اليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك في الهواء وكتب له ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتم المائة

شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فاقدا للضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال أبو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر * الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره * الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى أحوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار أكثر أكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء * الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الاغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان

ابدا

بلا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(الباب السابع والاربعون في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل)

اذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلي ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين في البيت يعجلون بهما قبل الخروج الى الجماعة كيلا يظن الناس انهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنا منهم انهما سنة واذا صلى المغرب يصلي ركعتي السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين

أبدا يصرف نظره فى الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ويصرف نظره فى الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر أوصانى خليلى صلوات الله عليه أن أنظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى أى فى الدنيا وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وأن يعلم ان غاية صبره فى الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المال ان كان مفقودا فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغى أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الانبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة وعنه عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فأكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها وقال أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسئل على الاسلام شيأ الا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من

أ كتبا فى صحيفتى أنى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط والميزان حق وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتى اليها اللهم احطط بها وزرى واغفر بها ذنبى وثقل بها ميزانى وأوجب لى بها امانى وتجاوز عنى يا أرحم الراحمين فان واصل بين العشاءين فى مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين وان رأى انصرافه الى منزله وان المواصلة بين العشاءين فى بيته أسلم لدينه وأقرب الى الاخلاص وأجمع للهم فليفعل * وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى تتجافى

عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شئ لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار و جاهل سخى أحب الى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فانت من أهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجديبة فيحييها ويحيي به أهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غنى أو فقير صدقة وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامرى فانه سخى وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت (الآثار) قال على كرم الله وجهه اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وأنشد

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام فى الكراهية * وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام فى المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل * ورفع رجل الى الحسن بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألنى الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدى حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخى من يبتدئ بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصرى ما السخاء فقال أن تجود بمالك فى الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة ألا وان الله عز وجل يقول انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر فى النار والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان فى الجنة وقال حذيفة رضى الله عنه رب فاجر فى دينه أخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحته وروى ان الاحنف ابن قيس رأى رجلا فى يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى فقال أما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفى معناه قيل

أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك

تجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هى الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ فى الاولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين والهكم اله واحد الى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفى الثانية آية الكرسى وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ فى الركعتين الاخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلى بعد ذلك ماشاء فان أراد ان يقرأ شيأ من حزبه فى هذا الوقت فى الصلاة أو غيرها وان شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشاءين

وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيأ وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ماوقي به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صررا الى اخوانه وقال قد كنت أسأل الله تعالى لاخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس اليك قال من كثرت أياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال

ان الصنيعة لاتكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها * لله أو لذوي القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا

(حكايات الاسخياء)

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان معاوية بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت ياجارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت * وعن أبان بن عثمان قال أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فأتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ماهذا فأخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم * وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لاتلقه ولاتسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا فلابد لنا من اتيانه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ماهذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى أبي محمد * وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي انه رفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق مافي يديك واما الحياء فهو الذي عنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وان لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يازبير اعلم ان مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المأمون اياي بالحديث أحب الي من الجائزة وهي مائة ألف درهم * وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له ياهذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل ومافي ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل

بركعتين يطيلهما الحسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا القرآن حزبه أومكررا آية فيها الدعاء والتلاوة مثل ان يقرأ مكررا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير أو آية أخرى في معناها فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء ففي ذلك جمع للهم وظفر بالفضل ثم يصلي قبل العشاء أربعا وبعدها ركعتين ثم ينصرف الى منزله أو موضع خلوته فيصلي أربعا أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته أول مايدخل قبل أن يجلس أربعا ويقرأ في هذه الاربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وان أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسي وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ويصلي بعد الاربع احدى

يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم * واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا * وحكي أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلمن الشيطان انى عدوه فعال محاويجهم الى أن رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته * وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن أبي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطينك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس * وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل الامير البستان أعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فما لي الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار * وقال أبو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفينني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل

ذلك

عشر ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية من القرآن من والسماء والطارق الى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وان أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات وان قرأ من سورة الملك الى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد الى عشر مرات الى أكثر ولا يؤخر الوتر الى آخر التهجد الا أن يكون واثقا من نفسه في عادتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر الى آخر التهجد حينئذ أفضل (وقد كان بعض العلماء) اذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك واذا كان الوتر من أول الليل يصلي بعد الوتر

سعد بن عبادة فاستبطأ أخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه برىء قال فانكسرت درجته بالعشى لكثرة من زاره وعاده * وعن أبى اسحق قال صليت الفجر فى مسجد الاشعث بالكوفة أطلب غريما لى فلما صليت وضع بين يدى حلة ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندى قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى فى المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ أبو سعد الحركوشى النيسابورى رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيأ فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت له ولد لى مولود وليس معى شئ فقام معى ودخل على جماعة فلم يفتح بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع وانى درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لى شئ قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولنى نصفه وقال هذا دين عليك الى أن يفتح عليك بشئ قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لى به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن فى الجواب ولكن احضر منزلى وقل لاولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى * وروى أن الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلنى فلما توفى بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتونى بتذكرته فأتى بها فنظر فيها فاذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلى اياه أى أراد به هذا وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره فى الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبى سليمان لشئ بلغنى عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد أن ينزل اليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فأخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه

يا لهف قلبى على مال أجود به * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما ليس عندى لمن احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعى رحمه الله فقال يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر اليه عنى وقال الربيع سمعت الحميدى يقول قدم الشافعى من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه فى موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شئ * وعن أبى ثور قال أراد الشافعى الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيأ من سماحته فقلت له ينبغى ان تشترى بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكننى ان أشتريها لمعرفتى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه يقول

أرى نفسى تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى

فنفسى لا تطاوعنى ببخل * ومالى لا يبلغنى فعالى

التكاثف والشغل يكون الموت والقيام الى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ماهمه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر ان كان همه الله فهمه هو والا فهمه غير الله والعبد اذا انتبه من النوم فباطنه عائد الى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه ويكون فارا الى ربه بباطنه خوفا من ذكر الاغيار ومهما وفى الباطن بهذا المعيار فقد انتقى طريق الانوار وطرق النفحات الالهية فحذرات تنصب اليه أقسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موئلا ومآبا ويقول باللسان الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ويقرأ العشر الاواخر من سورة

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة ألف أخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك قال أبكي على الارض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى * ودخل أبو تمام على ابراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بتهيئة ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب اليه يقول

ان حراما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدراهم والدنانير في البيع حرام الا يدا بيد

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب اليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونقول نحن كأننا لم نفعل

وروي انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك * وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان قال أربعمائة ألف * وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سألني بها أحد قبلك ان لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن * وقيل بكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني * وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال علي أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم أعطيته اذ شق عليك فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا منان وفي رواية ولا جبار وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيأ الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة

آل عمران ثم يقصد الماء الطهور قال الله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال عز وجل أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما الماء القرآن والاودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ما وسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير أجدر فالماء يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسده فالماء الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير أن يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك ان الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الارض

فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع * وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما
لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس
مقفله من خيبر اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه
فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فو الذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم
ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير
هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال انهم يخيروني بين ان يسألوني بالفحش أو يبخلوني ولست بباخل وقال أبو سعيد
الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده
فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان
أحدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا أن يسألوني ويأبى
الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله
لكم ألا ان الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها
بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا ان السخاء من
الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها
الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم
السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال أبو
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بني لحيان من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا أنه
رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية
انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل فقال عليه السلام
وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال أبو
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول أحب الى الله من العابد البخيل وقال أيضا قال صلى الله
عليه وسلم الشح والايمان لا يجتمعان في قلب عبد وقال أيضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح
أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا
بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول
بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك
فقال ويحك ذنبك أعظم أم الارضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي
أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات
قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم
أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان
السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك
فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من
دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ويحك أما علمت ان البخل كفر وان

فكانت القبضة جلدة
الارض والجلدة ظاهرها
بشرة وباطنها أدمة قال الله
تعالى اني خالق بشرا من
طين فالبشرة والبشر عبارة
عن ظاهره وصورته
والادمة عبارة عن باطنه
وآدميته والآدمية مجمع
الاخلاق الجيدة وكان
التراب موطئ أقدام ابليس
ومن ذلك اكتسب ظلمة
وصارت تلك الظلمة معجونة
في طينة الآدمي * ومنها
الصفات المذمومة والاخلاق
الرديئة ومنها الغفلة والسهو
فاذا استعمل الماء وقرأ
القرآن أتى بالمطهرين جميعا
ويذهب عنه رجز الشيطان
وأثر وطأته ويحكم له بالعلم
والخروج من حيز الجهل
فاستعمال الطهور أمر
شرعي له تأثير في تنوير القلب
بازاء النوم الذي هو الحكم
الطبيعي الذي له تأثير في
تكدير القلب فيذهب نور

الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (الآثار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري أنهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا أسكنك بخيلا وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز أف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته انه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده وقال الشعبي لا أدري أيهما أبعد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب وقيل ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من ألفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا قال البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت اذا أتاه وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك اذا لبخيل ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوّامة قوّامة الا أن فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا أبرارا وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الي المؤمن البخيل وأبغض الناس الي الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت فقال هاه أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيأ قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك * ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيأ فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت المقلي

هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للاثم والاثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان في هذه المواطن ولو ان المتحفظ المراعي المراقب المحاسب كلما أطلقت النفس في مباح من كلام أو مساكنة الى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعني قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء لثبت القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذي لا يزال بخفة حركته يجلو

وحكي أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب فقال سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق قال أنا والله ما أقدر على ابرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوأ ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه ابرة ويسألونه اعارتهم اياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل * ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ان مس عينا أو اذنا أو خدا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق * وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطي ستين ألفا فأعطاها أربعة دوانق * واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف * وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرة وملحا فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

(بيان الايثار وفضله)

اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فأرفع درجات السخاء الايثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي الى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذاك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والايثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله التستري قال موسى عليه السلام يا رب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يا رب بماذا بلغت

اليه مروما يعقلها الا العالمون فتفكر فيما نبهتك عليه تجد بركته وأثره ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض والانتباه من النوم لكان أزيد في تنوير قلبه ولكان الاجدر أن العبد يغتسل لكل فريضة بإذلا مجهوده في الاستعداد لمناجاة الله ويجدد غسل الباطن بصدق الانابة وقد قال الله تعالى منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة قدم الانابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمحة أن رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوز أداء مفترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الامة والخواص وأهل العزيمة طالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالاولى وتجذبهم الى سلوك طريق الاعلى فاذا قام الى

به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه اذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه أهدي الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الاول وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وعن أبي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي الى أن انطلق به اليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين وقال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من أخبار الايثار وأحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل

(بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد من نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك أحد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا

الصلاة وأراد استفتاح التهجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد عليه السلام حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت

لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذى يوجب الهلاك وما حد السخاء الذى يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذى يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه ان أريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان أريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا فى الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيأ فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفى أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل فى محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخى بل ينبغى أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله فأقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخى هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل كالذى يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف أو الذى يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل * وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح فى الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح فى المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة أو معاملة وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب اذ يستقبح فى الاطعمة ما لا يستقبح فى غيرها ويستقبح فى شراء الكفن مثلا أو شراء الاضحية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح فى غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبى وبمن منه المضايقة من صبى أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغى أن لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض

أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا الله أنت اللهم ات نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت أسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء الفقير الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا أكرم المعطين ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وفى الثانية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين ان أراد يقرأ فيهما باية الكرسى وآمن

هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال والمضايق فى الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته فى الآخرة وامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما ظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه ان كان فى جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس على غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة فى العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع فى الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشترى المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود فى نفسه والجود هو بذل الشئ من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى وأما الآدمى فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشئ الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب فى الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهى أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد كما روى عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلى عما شئت وأشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأى شئ تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندى أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيأ بشئ ان هذا فى الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء فى الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندى فى المهج وقال المحاسبي السخاء فى الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن تغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذى يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك

(بيان علاج البخل)

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان * أحدهما حب الشهوات التى لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما انه كان لا يبخل بماله اذ القدر الذى يحتاج اليه فى يوم أو فى شهر أو فى سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر

الرسول وان أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الاوليين وهكذا يتدرج الى ان يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك فان فى ذلك فضلا كثيرا والله أعلم

(الباب الثامن والاربعون فى تقسيم قيام الليل)

قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل فى تفسير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل فى تفسير قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصابرة العدو (وفى الخبر) عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو

وقلة الثقة بمجيء الرزق قوى البخل لا محالة * السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم وتعالج التفات القلب الى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم انه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه * حكي أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لو رماه في الماء كان أولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها الا ان علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى

دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهبة كيد الشيطان ومطردة للداء من الجسد (وقد كان) جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد بن المسيب وفضيل ابن عياض ووهيب بن الورد وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار وحبيب العجمي وكهمس بن المنهال وأبو حازم ومحمد بن المنكدر وأبو حنيفة رحمه الله وغيرهم عدهم وسماهم بأسمائهم الشيخ أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه أو ثلثه وأقل الاستحباب سدس الليل فاما أن ينام ثلث الليل الاول ويقوم نصفه وينام سدسه

المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينماهم فى دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك الا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطر واحتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يارب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انى أتيتك فى حاجة فقال ماهى قال تخصنى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألنى أن أخصك بدعوة ثم قال ما الذى بلغك ما رأيت قال أطعت الله فيما أمرنى ونهانى فسألت الله فأعطانى وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفوا فى أهل السماء وتخفوا فى أهل الارض وقال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان أغبط أوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أحب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغنى أن الله تعالى يقول فى بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء وقال ابراهيم بن أدهم ماقرت عينى يوما فى الدنيا قط الا مرة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى البطن فجرنى المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على أن لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوى فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

(بيان ذم حب الجاه)

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالى عن الارادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأسرع افسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل

دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أوخير أنت معطيه أحدا من خلقك فانا راغب اليك فيه وأسألكه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت

الله العفو والعافية بمنه وكرمه

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى ان يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى أن تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد فى أغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص اما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال فى صورة أو قوة فى بدن أو شئ مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله فى القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا فى المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض فى أعيانها اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هى والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك فى السبب اقتضى الاشتراك فى المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه * الاول أن التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذى لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك

تفعل ما تريد سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى الجود والكرم سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا واجعل لى نورا ولهذا الدعاء أثر كثير وما رأيت أحدا حافظ عليه الا وعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية الصادقين بعضهم بعضا بحفظه والمحافظة عليه منقول عن رسول الله صلى

الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب * الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه أخطار كثيرة وأما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصاب وأثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله * الثالث أن ملك القلوب يسري وينمي ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيأ فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان أحدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون * فأما السبب الاول فهو دفع ألم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف * وأما السبب الثاني وهو الاقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ومعنى كونه ربانيا انه من أسرار

علوم

الله عليه وسلم انه كان يقرؤه بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر ثم يقصد المسجد للصلاة في الجماعة ويقول عند خروجه من منزله وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ويقول في الطريق اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا أنت (وروى) أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال ذلك اذا خرج الى الصلاة وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله تعالى عليه بوجهه الكريم حتى يقضي صلاته

علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذلم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها اذلم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أومأ اليها قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا أن الاستيلاء على الشئ بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب الانسان أن يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك أحب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان أجساد وأرواح

واذا دخل المسجد أو دخل سجادته للصلاة يقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ويقدم رجله اليمنى في الدخول واليسرى في الخروج من المسجد أو السجادة فسجادة الصوفي بمنزلة البيت والمسجد ثم يصلي صلاة الصبح في جماعة فاذا سلم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويقرأ هو الله الذي لا اله لا هو الرحمن الرحيم التسعة

أما الاجساد فهي الدراهم والدنانير والامتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وان لم علك قلوبهم فانها ان لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها فان الحشمة القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة * القسم الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الارض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها ان شاء الله تعالى

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له)

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه * أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب الى الله تعالى * الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب الى الله تعالى * الثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات * (أما المتغيرات) فمثالها العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب * (القسم الثاني) * هو المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات

والتسعين اسما الى آخرها فاذا فرغ منها يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه عنا أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم صل على محمد في الاولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد الى يوم الدين اللهم صل على روح محمد في الارواح وصل على جسد محمد في الاجساد واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود

ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات أزلية أبدية اذلا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة فى معرفة الله وما يجب له وما يستحيل فى صفاته ويجوز فى أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته فى ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أى تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف مالم ينكشف فى الدنيا كما أن من معه سراج خفى فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له فى ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع فى هذا النور فيبقى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا فى معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فمنها مالا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما ومنها ماله منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما فى القرآن من كيفية العبادات والاعمال التى تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال

* وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهى وسيلة له الى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان الى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى أقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير

السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسئ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها وما عملت فيه من سيئة فاغفر لى انك غفور رحيم ودود رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم انى أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وأعوذ بك

بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم وكمال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وارادة الاسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على أعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان أبديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله فأصبح هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه أشار أبو الطيب بقوله

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك

(بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم)

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه واستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا أن التحقيق في هذا يفضي الى أن لا يكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع

معنى

من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الامور وفجاآت الاقدار ومن شر كل طارق يطرق الا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وأعوذ بك ان أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك وعظمت نعماؤك أعوذ بك من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها أعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة اللهم اني أعوذ بك من مباهاة المكثرين والازراء على المقلين وأن أنصر ظالما أو أخذل مظلوما وأن أقول في العلم بغير علم أو أعمل في الدين بغير يقين أعوذ بك ان أشرك بك وأنا أعلم

معنى الرياء المحظور كما سيأتى فان قلت طلبه المنزلة والجاه فى قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الاطلاق كيفما كان أو يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فأقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهان منه مباحان ووجه محظور أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس اما بالقول أو بالمعاملة * وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه * والثانى أن يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به كالذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض أو فى غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الاموال

(بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه)

اعلم أن لحب المدح والتلذذ به وغلبة القلب به أربعة أسباب *(السبب الاول)* وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذى به مدح لا يخلو اما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وفى كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف فى القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه فى غاية اللذة وان صدر ممن يجازف فى الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح *(السبب الثانى)* أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته أعظم لان الفائت به أعظم *(السبب الثالث)* أن ثناء

وأستغفرك لما لا أعلم أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وابن عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا وأوسطه فلاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيهما لله الواحد القهار أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة

المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله و يعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس *(السبب الرابع)* أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله كما اذا مدح بانه نسيب أو سخى أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه و بقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله و يعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لاجلهم ولا يزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد و يجر ذلك لا محالة الى التساهل فى العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذى لاجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له و يكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الابدية التى لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه الا ان ذلك انما يصغر فى عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة و يكون الموت كالحاصل عنده و يكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال فى الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال عز وجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغى أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن

أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم انا نسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ياحى ياقيوم ياحى حين لا حى فى ديمومة ملكه وبقائه ياحى محيي الموتى ياحى مميت الاحياء و وارث الارض والسماء اللهم انى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم و باسمك الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم انى أسالك باسمك الاعظم الاجل الاعز الاكرم الذى اذا دعيت به أجبت واذا سئلت به أعطيت يانور النور يامدبر الامور ياعالم ما فى الصدور ياسميع ياقريب يامجيب الدعاء يالطيفا لما يشاء يارؤف يارحيم ياكبير

كانت من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبى

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغى أن يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى أن لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضى الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة فى استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغى أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التى مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك اذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغى أن يغمك ذلك ولا تفرح به *(وأما السبب الثانى)* وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبأن تعلم أن طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به *(وأما السبب الثالث)* وهو الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو أيضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروى فى بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهر أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة وقال عليه السلام الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى أن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال انى لم آمرك بأن تزكينى وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغى أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه والله الموفق للصواب برحمته

(بيان علاج كراهة الذم)

يا ديهور يا ديهار يا أبد يا أزل يا من لم يزل ولا يزال ولا يزول هو يا هو لا اله الا هو يا من لا هو الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كان يا كينان يا روح يا كائن قبل كل كون يا كائن بعد كل كون يا مكونا لكل كون أهيا شراهيا أدوناى أصبؤت يا مجلى عظائم الامور فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع اللهم انى أعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انى

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتقلد منته فان من أهدى اليك عيوبك فقد أرشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول أعدائه فينبغي ان تغتنمه وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به * الحالة الثالثة أن يفتري عليك بما أنت بريء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة أمور أحدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله وأما الثالث فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ان كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا ابراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال علمت اني مأجور بسببه وما نالني منه الا خير فلا أرضى أن يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك في قلبك وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

(بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة الى الذام والمادح * الحالة الاولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب * الحالة الثانية أن يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال * الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته أن لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج

أعوذ بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم وأعوذ بك من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي اللهم اني أعوذ بك من القسوة والغفلة والذل والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الاسقام اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني أسألك الصلاة على محمد وعلى آله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب

المادح فوق مايجده فى قضاء حاجة الذام وأن لايكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح
وأن لايكون موت المادح المطرى له أشد نكاية فى قلبه من موت الذام وان لايكون غمه بمصيبة المادح ومايناله
من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لاتكون زلة المادح أخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فمهما
خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب
وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن فى قلوبهم وهم لايشعرون حيث لايمتحنون أنفسهم بهذه
العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله
بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وانما استثقالك الذام من الدين المحض وهذا
محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن فى الناس من ارتكب من كبائر المعاصى أكثر مما ارتكب الذام فى
مذمته ثم انه لايستثقلهم ولاينفر عنهم ويعلم ان المادح الذى مدحه لايخلو عن مذمة غيره ولايجد فى نفسه
نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لاتختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذا
العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم ان الشيطان يخيل اليه أنه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه
فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت
عليه الدنيا ويخسره فى الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم
فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * الحالة الرابعة وهى الصدق فى العبادة أن يكره المدح ويمقت
المادح اذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له فى الدين ويحب الذام اذ يعلم أنه مهد اليه عيبه ومرشد له الى
مهمه ومهد اليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى
وقد روى فى بعض الاخبار ماهو قاصم لظهور أمثالنا ان صح اذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم
وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يارسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض
المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع فى الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهة
على الذام والمادح ولايظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا
نطمع فيها ثم ان طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فانها لاتفى بها لانها لابد وأن تتسارع الى اكرام المادح
وقضاء حاجاته وتتثاقل على اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولانقدر على أن نسوى بينهما فى الفعل
الظاهر كما لانقدر عليه فى سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام فى ظاهر الفعل فهو جدير
بأن يتخذ قدوة فى هذا الزمان فان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث الناس به ولايرى فكيف بما بعده من
المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات أما الدرجات فى المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة
والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائى بالعبادات ولايبالى بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات
ولايطلبه بالعبادات ولايباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذى يستميل به القلوب
وحدود الاعمال لايمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لايحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم
من لايريد المدحة ولايسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف
الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور الى الرتبة التى قبلها وان جاهد نفسه فى ذلك وكلف قلبه
الكراهية وبغض السرور اليه بالتفكر فى آفات المدح فهو فى خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة
تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقى عليه بقية
من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لاينتهى به الى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى
درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق

اليها من قول وعمل وأسألك
ماسألك عبدك ونبيك محمد
صلى الله عليه وسلم
وأستعيذك مما استعاذك
منه عبدك ونبيك محمد صلى
الله عليه وسلم وأسألك
ماقضيت لى من أمر أن
تجعل عاقبته رشدا برحمتك
ياأرحم الراحمين ياحى
ياقيوم برحمتك أستغيث
لاتكلنى الى نفسى طرفة
عين وأصلح لى شأنى كله
يانور السموات والارض
ياجمال السموات والارض
ياعماد السموات والارض
يابديع السموات والارض
ياذا الجلال والاكرام
ياصريخ المستصرخين
ياغوث المستغيثين يامنتهى
رغبة الراغبين والمفرج عن
المكروبين والمروح عن
المغمومين ومجيب دعوة
المضطرين وكاشف السوء
وأرحم الراحمين واله العالمين
منزول بك كل حاجة ياأرحم

لانه

لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام وأول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الناس واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيأ منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

(الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائي به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

(بيان ذم الرياء)

اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار *(اما الآيات) فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم أهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته وأعماله *(وأما الاخبار) فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يارسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت ان يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت ان يقال فلان قارئ فأخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يارسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم واذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من

الراجين اللهم استر عوراتي
وآمن روعاتي وأقلني عثراتي
اللهم احفظني من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن
شمالي ومن فوقي وأعوذ بك
ان اغتال من تحتي اللهم
اني ضعيف فقو في رضاك
ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي
واجعل الاسلام منتهى
رضاي اللهم اني ضعيف
فقوني اللهم اني ذليل
فاعزني اللهم اني فقير فاغنني
برحمتك يا أرحم الراحمين
اللهم انك تعلم سري
وعلانيتي فاقبل معذرتي
وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي
وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي اللهم اني أسألك
ايمانا يباشر قلبي ويقينا
صادقا حتى أعلم انه لن
يصيبني الا ما كتبت لي
والرضا بما قسمت لي ياذا
الجلال والاكرام اللهم
ياهادي المضلين ويا راحم
المذنبين ومقيل عثرة

رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أدنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي أيضا ترجع الى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن أوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك يارسول الله قال اني تخوفت على أمتي الشرك أما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن بأعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء باطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد علي من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بأبي أنت وأمي يارسول الله قال اني محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا

العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقي الروح بامرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله الا هو أنت الوكيل واليك المصير يامن لا يشغله شأن عن شان ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات ويامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ويامن لا يتبرم بالحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم اني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك

بهذا

بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه انى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى انه أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارض ومن فيهن قال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بى وان كان فى عملك نقص يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة فى اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال تعالى والناشطات نشطا أتدرى من هى يامعاذ قلت ما هن بأبى أنت وأمى يارسول الله قال كلاب فى النار تنشط اللحم والعظم قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يامعاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما فى هذا الحديث (وأما الآثار) فيروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب انما الخشوع فى القلوب ورأى أبو امامة الباهلى رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا فى بيتك وقال على كرم الله وجهه للمرائى ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفى فى سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شئ لك ثم قال فى الثالثة ان الله يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فأخلصه وقال الضحاك لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص منى فقال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيأ اما أن تدعها لى فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت أقواما ان كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان أحدهم ليمر فيرى الاذى فى الطريق فما يمنعه أن ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يامرائى ياغادر ياخاسر يافاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون وصار واليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن رضى الله عنه المرائى يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارديا فلابد لقلوب المؤمنين أن تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدى يستهزئ بى وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الى وقال محمد بن المبارك الصورى أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان التوقى عن العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف ذاك قال يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن

لما تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم انى أسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد وأسالك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقرب الى حبك اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى أسالك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم اقسم لى من خشيتك ما تحول به بينى وبين معصيتك ومن طاعتك ما يدخلنى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب

أدهم ما صدق الله من أراد أن يشتهر

(بيان حقيقة الرياء وما يراءى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بايرائهم خصال الخير الا أن الجاه والمنزلة تطلب فى القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائى هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة فى قلوبهم والمراءى به هو الخصال التى قصد المرائى اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات *(القسم الاول الرياء فى الدين بالبدن) وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائى بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذى خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراآة أهل الدين بالبدن فأما أهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها *(الثانى الرياء بالهيئة والزى)* أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنها التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من أهل العلم والمراؤن بالزى على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الدبيقى والكتان الدقيق الابيض والمقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك

اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب الينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة واداء الشكر بحسن العبادة اللهم انى أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة وأسألك خير ما بينهما احينى حياة السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفنى وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه يا خير الرازقين وأحسن التوابين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل

عليهم خوفا من ان يقول أهل الصلاح قد رجعوا الى زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى مادونه أو الى مافوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة وأما أهل الدنيا فمراآتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا فى الزينة *(الثالث الرياء بالقول)* ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال فى المحاورة واظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته فى علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر وأما أهل الدنيا فمراآتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح فى العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على أهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب *(الرابع الرياء بالعمل)* كمراآة المصلى بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات واظهار الهدء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات فى المشى عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار فى الكلام حتى ان المرائى قد يسرع فى المشى الى حاجته فاذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من ان تخالف مشيته فى الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار فى خلوته أيضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته فى الخلوة ليكون كذلك فى الملأ لا لخوف من الله وحياء منه * وأما أهل الدنيا فمراآتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة *(الخامس المراآة بالاصحاب والزائرين والمخالطين)* كالذى يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته فى الدين وكالذى يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهى بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يرائى به المراؤن وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه فى قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة فى ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة فى ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه فى أسبابه فانه نوع قدرة وكمال فى الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت فى البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد

ما استعملت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فانه لا اله الا أنت أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم انى أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به اللهم انى أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فقويت بها على معصيتك اللهم انى أستغفرك من كل عمل عملته لك نخالطه ماليس لك اللهم انى أسالك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه وأعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم احفظنا فيما أمرتنا واحفظنا عما نهيتنا

لاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل
بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات
المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام أو مكروه
أو مباح أو فيه تفصيل فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات
فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب
المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود
فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني
حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر
الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير
حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم
انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك
معاصي القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا
ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين
ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي
يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراآة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا
كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أراد أن يخرج يوما الى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله
قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا
في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد الى
الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في
أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا اذ للانسان أن
يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراآة بما
ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب
بها ولذلك نقول الرجل اذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد
الناس أنه سخي فهذا مراآة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو
والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان
الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل
يعصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس
والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس في أمر الدنيا حرام أيضا
حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقد واسخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك
القلوب بالخداع والمكر * والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله
ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك
من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلمانه فان
هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأي استحقار يزيد على ان

واحفظ لنا ما أعطيتنا
يا حافظ الحافظين ويا ذاكر
الذاكرين ويا شاكر
الشاكرين بذكرك
ذكروا وبفضلك شكروا
يا غياث يا مغيث يا مستغاث
يا غياث المستغيثين لا تكلني
الى نفسي طرفة عين فاهلك
ولا الى أحد من خلقك
فاضيع اكلأني كلاءة
الوليد ولا تخل عني وتولني
بما تتولى به عبادك الصالحين
أنا عبدك وابن عبدك
ناصيتي بيدك جار في حكمك
عدل في قضاؤك نافذ في
مشيئتك ان تعذب فاهل
ذلك أنا وان ترحم فاهل
ذلك أنت فافعل اللهم
يا مولاي يا الله يا رب ما أنت
له أهل ولا تفعل اللهم يا رب
بالله ما أنا له أهل انك أهل
التقوى وأهل المغفرة يا من
لا تضره الذنوب ولا تنقصه
المغفرة هب لي ما لا يضرك
وأعطني ما لا ينقصك يا ربنا

الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح *(الركن الثاني)* المراءى به وهو
الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء بأوصافها * القسم الاول وهو الاغلظ الرياء
بالاصول وهو على ثلاث درجات * الاولى الرياء بأصل الايمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار
وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله
تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الآية وقال
تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله
الا قليلا مذبذبين بين ذلك والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام
ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار
الآخرة ميلا الى قول الملحدة أو يعتقد طي بساط الشرع والاحكام ميلا الى أهل الاباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة
وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد
حالا من الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر * الثانية الرياء بأصول العبادات مع
التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد
غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلاة
وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك
يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس
أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله
أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند
الخلق أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في
محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن أصل
الايمان من حيث الاعتقاد * الثالثة أن لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو
تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم
يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد
بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة وطلبا
للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان
الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق
أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر
من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات * القسم الثاني الرياء بأوصاف العبادات
لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات * الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان
يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم
القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل أي انه ليس
يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا أو متكئا
فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا
حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب

الرديء

وعلى آل محمد واصلح أمة
محمد اللهم ارحم أمة محمد
اللهم فرج عن أمة محمد
فرجا عاجلا ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا انك
رؤف رحيم اللهم اغفر لي
ولوالدي ولمن توالدا
وارحمهما كما ربياني صغيرا
واغفر لاعمامنا وعماتنا
وأخوالنا وخالاتنا وأزواجنا
وذرياتنا ولجميع المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات الاحياء منهم
والاموات يا أرحم الراحمين
يا خير الغافرين (ولما
كان) الدعاء مخ العبادة
أحببنا أن نستوفي من ذلك
قسما صالحا نرجو بركته
وهذه الادعية استخرجها
الشيخ أبو طالب المكي رحمه
الله في كتابه قوت القلوب
وعلى نقله كل الاعتماد وفيه
البركة فليدع بهذه

الردىء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا كمالا للعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا أيضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فان قال المرائى انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهى خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت فى هذا الا كمن يهدى وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهى عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالى به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغى أن تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائى فيه حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية أن يقول ليس يحضرنى الاخلاص فى تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتى عند الله ناقصة وآذانى الناس بذمهم وغيبتهم فأستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من ان أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح ان الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغى أن يستمر على عادته فى الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق * الدرجة الثانية أن يرائى بفعل ما لا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل فى الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة فى القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد فى الزكاة واعتاق الرقبة الغالية فى الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه الثالثة أن يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائى به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم *(الركن الثالث)* المراءى لاجله فان للمرائى مقصودا لا محالة وانما يرائى لادراك مال أو جاه أو غرض من الاغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات * الاولى وهى أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرائى بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها أو يسلم اليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها أو تسلم اليه الاموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة فى المعاصى وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة أو غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن فى الرفقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى * الثانية أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة

الدعوات منفردا أو فى الجماعة اماما أو مأموما ويختصر منها ما يشاء

(الباب الخمسون فى ذكر العمل فى جميع النهار وتوزيع الاوقات)

فمن ذلك ان يلازم موضعه الذى صلى هو فيه مستقبل القبلة الا ان يرى انتقاله الى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج الى حديث أو التفات الى شئ فان السكوت فى هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين تجده أهل المعاملة وأرباب القلوب وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة الى المفلحون والآيتين والهكم اله واحد وآية الكرسى والآيتين بعدها وآمن الرسول والآية قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وان ربكم الله الذى خلق السموات والارض

كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه * الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيأ من ذلك وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله أو يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في أن يأكل الانسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول ان أمي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وان من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم

الى المحسنين ولقد جاءكم رسول الى الآخر وقل ادعوا الله الآيتين وآخر الكهف من ان الذين آمنوا وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى خير الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان ربك الى آخر السورة ولقد صدق الله وأول سورة الحديد الى بذات الصدور وآخر سورة الحشر من لو أنزلنا ثم يسبح ثلاثا وثلاثين وهكذا يحمد مثله ويكبر مثله ويتمها مائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا أو من المصحف أو يشتغل بانواع الاذكار ولا يزال كذلك من غير فتور وقصور ونعاس فان النوم في هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه النوم فليقم في مصلاه قائما مستقبل القبلة فان لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات

(بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل)

اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان

النار

النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس أحب ان يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤن بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه انه قال ان رجلا من السواح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الاموال في أموالهم ان أحدنا اذا لقي أحب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ أحب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها أعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى أحدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول أولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فأما المحمود فأربعة أقسام * الاول أن يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله

نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة ففي ادامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين وأثر ذلك في حق من يجمع في الاذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فاذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه وتبتني أوقات النهار جميعا على هذا البناء فاذا قارب طلوع الشمس يبتدئ بقراءة المسبعات العشر وهي من تعليم الخضر عليه السلام علمها ابراهيم التيمي وذكر انه تعلمها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق في الاذكار

ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره
إليه وألطافه به فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح
وإظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به * الثاني أن يستدل بإظهار الله الجميل
وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعله في الآخرة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد
ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة فيكون الأول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا
التفات إلى المستقبل * الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون
له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به
من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور مخايل الربح لذيذ
وموجب للسرور لا محالة * الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم
للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به
أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن
يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه * وأما المذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام
منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده
فهذا مكروه والله تعالى أعلم

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط)

فنقول فيه إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من
العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور بمجرد الظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم
على نعت الإخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره لا سيما إذا لم يتكلف هو
إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بإظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور
والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث
به وأظهره فهذا مخوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه محبط فقد روي عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول
قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت
الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة
صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على
أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن أظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد
العمل مبطلا لثواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراآته بطاعة الله
بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل
وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثنائها وارد
الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثا على العمل فإن كان باعثا على
العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة أو حضر ملك من الملوك وهو
يشتهي أن ينظر إليه أو يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا
من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الإعادة إن كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء
إذا طاب آخره طاب أوله أي النظر إلى خاتمته وروي أنه من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا
منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقي

والدعوات وهي عشرة
أشياء سبعة سبعة الفاتحة
والمعوذتان وقل هو الله أحد
وقل يا أيها الكافرون وآية
الكرسي وسبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر والصلاة على النبي
وآله ويستغفر لنفسه
ولوالديه وللمؤمنين
والمؤمنات ويقول سبعا
اللهم افعل بي وبهم عاجلا
وآجلا في الدين والدنيا
والآخرة ما أنت له أهل
ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن
له أهل إنك غفور حليم
جواد كريم رؤف رحيم
(وروي) أن إبراهيم التيمي
لما قرأ هذه بعد أن تعلمها
من الخضر رأى في المنام أنه
دخل الجنة ورأى الملائكة
والأنبياء عليهم السلام
وأكل من طعام الجنة وقيل
إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم
وقيل لعله كان ذلك لكونه
أكل من طعام الجنة فإذا

دون

دون المباح والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغى أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء قصد أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه ولقد ذهب الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى الى الاحباط فى أمر هو أهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى أنه محبط لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبى أنه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يضره أى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه * أحدها أنه يحتمل انه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث انه قبل الفراغ * والثانى انه أراد أن يسر به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به أجرا ولا ذاهب من الامة الى أن للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائى أجران * والثالث انه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل الى أبى هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبى صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة فى الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا أن هذا القدر اذا لم يظهر أثره فى العمل بل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام وأما الاخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق وأما ما ورد فى الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغى أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال ان الذى أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا فى كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ * (القسم الثالث) الذى يقارن حال العقد بأن يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف فى انه يقضى ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه فى اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة

فرغ من المسبعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة الى أن تطلع الشمس قدر رمح (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لان أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلى الركعتين وبهاتين الركعتين تتبين فائدة رعاية هذا الوقت واذا صلى الركعتين بجمع همه وحضور قلبه وحسن تدبر لما يقرأ يجد فى باطنه أثرا ونورا وروحا وأنسا اذا كان صادقا والذى يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يقرأ فى هاتين الركعتين فى الاولى آية الكرسى وفى الاخرى آمن الرسول والله نور

لايبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة فى الصلاة فتفسد الصلاة وكذلك قول من يقول لوختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدح فى النية وأولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح مابعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم الصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلى لاجل الناس فهذه صلاة لانية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لاباعث ولا اجابة فأما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلى الا انه ظهر له الرغبة فى المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون فى صدقة وقراءة وماليس فيه تحليل وتحريم او فى عقد صلاة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولايحبط احدهما الآخر وان كان فى صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان تكون فرضا او نفلا فان كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع فى قلبه الباعثان ولايمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا فى بيت وحده لما صلى لايصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته و يصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فأما اذا كان فى فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لايستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لايسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لولم يكن باعث الرياء لادى الفرائض ولولم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لايمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى فى دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة فى الدار المغصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال فى تعارض البواعث فى أصل الصلاة أما اذا كان الرياء فى المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة فى أول الوقت لحضور جماعة ولوخلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لايبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث أصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدح فى النية هذا فى رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ أثره الى حيث يؤثر فى العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء فى صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد فى ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا فى شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبى يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير

السموات والارض الى آخر الآية وتكون نيته فيهما الشكر لله على نعمه فى يومه وليلته ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ المعوذتين فيهما فى كل ركعة سورة وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله تعالى من شر يومه وليلته و يذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر مايجرى به الليل والنهار ان ربى الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الاولين اللهم انى أصبحت لاأستطيع دفع ما أكره ولاأملك نفع ما أرجو وأصبحت مرتهنا بعملى وأصبح أمرى بيد غيرى

الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال *(المقام الاول)* في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة أصول وهي حب لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما في أيدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى أن اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم أنه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن اذا بان له أن فيه سما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وايثار ذم

فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسئ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني اللهم اني أعوذ بك من الذنوب التي تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التي توجب النقم ثم يصلي ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمله في يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الاطلاق والا فالاستخارة التي وردت بها الاخبار هي التي يصليها امام كل أمر يريده ويقرأ في هاتين الركعتين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب ويقول فيه كل قول

الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في
أيديهم فبأن يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله
ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله
برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ واذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا
يزيده ذمهم شيأ مالم يكتبه عليه الله ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار ان كان من أهل الجنة ولا
يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته
وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد
الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند
الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع
أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه وأي خير لك
في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأي شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة
المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة
مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب
الخلق وانعطف من اخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح به له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه
بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية
الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء
*وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش
حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روى أن بعض
أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم
يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق
في بداية المجاهدة واذا اصطبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمده به
عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد
المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما *(المقام الثاني) في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من
تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من أعين المخلوقين
واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه
نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء
ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء
اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول
النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث
فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل أن يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة
اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال ما لك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم
غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد بذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في

وعمل أريده في هذا اليوم
اجعل فيه الخيرة ثم يصلي
ركعتين أخريين يقرأ في
الاولى سورة الواقعة وفي
الاخرى سورة الاعلى
ويقول بعدها اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
واجعل حبك أحب الاشياء
الي وخشيتك أخوف
الاشياء عندي واقطع عني
حاجات الدنيا بالشوق الى
لقائك واذا أقررت أعين
أهل الدنيا بدنياهم فأقرر
عيني بعبادتك واجعل
طاعتك في كل شيء مني
يا أرحم الراحمين ثم يصلي
بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما
شيأ من حزبه من القرآن
ثم بعد ذلك ان كان متفرغا
ليس له شغل في الدنيا يتنقل
في أنواع العمل في الصلاة
والتلاوة والذكر الى وقت

الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا أن للشيطان ههنا مكيدة وهي أنه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله * والمخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب * الاولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك * الثانية أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته * الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة * الرابعة أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع * يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من أمره قيل ومن أمره قال الشيطان اللهم اغفر له أي لاغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته * وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال أيضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مدا وما ملك وقلاك وضرب الحرث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا أحسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فأبى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فاذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظار الوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة الى أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون الا ما أراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين

فقد كان من الصالحين من يختم القرآن في الصلاة بين اليوم والليلة والا فليصل أعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التي في القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير وأمثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة آية منها المأمرة أو يكررها مهما شاء ويقدر للطالب أن يصلي بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم والليلة مائة ركعة الى مائتين الى خمسمائة الى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على أهلها فما باله يبطل ولا

بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى وأسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبى صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الامن والسرور بعد أن قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انه لم ينهه الا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فاذا لم يأمن نبى من الانبياء وهو فى الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن فى دار الدنيا وهى منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من أوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك فأشار الى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفى اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم ان ذلك قادح فى التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيى والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادى والمضل هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه فى التوكل وهذا ما اختاره الحرث المحاسبى رحمه الله وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الاحوال فى بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه فى كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغى أن يكون شئ أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدى الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الاشياء على قلوبنا

يتنعم بخدمة الله تعالى (قال سهل بن عبد الله التسترى) لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله فى الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح الى الظهر كما ينتصف العصر بين الظهر والمغرب يصلى الضحى فهذا الوقت أفضل الاوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى اذا رمضت الفصال وهو أن ينام الفصيل فى ظل أمه عند حر الشمس وقبل الضحى اذا ضحيت الاقدام بحر الشمس وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك ان كان هنالك حق يقضى مما ندب اليه

وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان و بقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان و يقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله و يكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر و ينام على أن ينتبه فى ذلك الوقت فيتنبه فى الليل مرات قبل أوانه لما أسكن فى قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذى يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافى فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذى جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذى جعل لمجرى الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافى فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

(بيان الرخصة فى قصد اظهار الطاعات)

اعلم أن فى الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين ولكن فى الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان أحدهما فى نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل *(القسم الاول)* اظهار نفس العمل كالصدقة فى الملا لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصارى الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وتجرى سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء فى الصدقة على الطباع أغلب نعم الغازى اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لان الغزو فى أصله من أعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته فى الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه و يرغب الناس فى الصدقة فالسر أفضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس فى الافضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وان كان فى العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر و يدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين و يدل عليه قوله عليه السلام له أجرها وأجر من عمل بها وقد روى فى الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا و يضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف

من زيارة أو عبادة يمضى فيه والا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور ظاهرا وباطنا وقلبا وقالبا والا فباطنا وترتيب ذلك انه يصلى ما دام منشرحا ونفسه مجيبة فان سئم ينزل من الصلاة الى التلاوة فان مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فان سئم التلاوة أيضا يذكر الله بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة فان سئم الذكر يدع ذكر اللسان و يلازم بقلبه المراقبة والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى اليه فما دام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وأفضله فان عجز عن ذلك أيضا وتملكته الوساوس وتزاحم فى باطنه حديث النفس فلينم ففى

فيه فانه مهما انقلع القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به أفضل لامحالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ماهم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الاعلان فان مال قلبه الى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره وأجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيأ والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء *(القسم الثاني)* أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوى عظيمة الا أنه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت أنه حق وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لاني لا أدري أيهما خير لي وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغداء وقال أبو سفيان لاهله حين حضره الموت لا تبكوا علي فاني ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما قضى الله في بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراآة اذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم

النوم السلامة والافكثرة حديث النفس تقسي القلب ككثرة الكلام لانه كلام من غير لسان فيحترز من ذلك قال سهل بن عبد الله أسوأ المعاصي حديث النفس والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع كشخص آخر في باطنه فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب المجد أن يصلي من صلاة الضحى الى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزأ من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من

من يخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روى أنه كان يجتاز الانسان فى سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا فى دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائى فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما ورد فى الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم

(بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الاصل فى الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحى منه وقال أبو مسلم الخولانى ما عملت عملا أبالى أن يطلع الناس عليه الا اتيانى أهلى والبول والغائط الا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما تختلج به الخواطر فى الشهوات والامانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى وأما الصادق الذى لا يرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه *(الاول) أن يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره فى القيامة اذ ورد فى الخبر أن من ستر الله عليه فى الدنيا ذنبا ستره الله عليه فى الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان *(الثانى) أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصى وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه *(الثالث)* أن يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغى أن يكره الحمد الذى يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان *(الرابع)* أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق فى أن تزول عنه رؤية الخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من أهل البصيرة فى الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان فى الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمد بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك فى نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة فى الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان فى الدين بل ينبغى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر *(الخامس) أن

صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعدادا خر من الركعات حسن (قال سفيان) كان يعجبهم اذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها انه يعين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس اذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار تجد فى الباطن نشاطا آخر وشغفا آخر كما كان فى أول النهار فيكون للصادق فى النهار نهاران يغتنمهما بخدمة الله تعالى والدؤب فى العمل وينبغى أن يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء بحيث يكون وقت الاستواء مستقبل القبلة

يكره

يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهـذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بينه و بين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع *(السادس) ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهـذا وراء ألم الذم فان الذم يؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه *(السابع) مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث فى أول الصبى مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيى من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتى الا بخير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم فالذى يفسق ولا يبالى أن يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر و يستحيى الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له و يدعى كل مراء انه مستحيى وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص و يتصور أن يخلص معه و يتصور أن يرائى معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا أنه يستحيى من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيى ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال *احداها ان يشافه بالرد الصريح ولا يبالى فينسب الى قلة الحياء وهـذا فعل من لا حياء له فان المستحيى اما ان يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال * أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء و يقول ينبغى ان تعطى حتى يثنى عليك و يحمدك و ينشر اسمك بالسخاء أو ينبغى أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء *الثانى أن يتعذر عليه الرد بالحياء و يبقى فى نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج داعى الاخلاص و يقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانى عشرة ففيه أجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه *الثالث ان لا يكون له رغبة فى الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده فى قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيى منه من الاجانب والاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هـذا الا فى القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائى يستحيى من المباحات أيضا حتى انه يرى مستعجلا فى المشى فيعود الى الهدو أو ضاحكا فيرجع الى الانقباض و يزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس فى الصلاة وهو فى الصبيان والنساء محمود وفى العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيى من شيبته أن تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذى الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحيى من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هى الاسباب التى يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب *(الثامن) أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره و يقتدى به وهذه العلة الواحدة فقط هى الجارية فى اظهار الطاعة وهو القدوة و يختص ذلك بالائمة أو بمن يقتدى به و بهـذه العلة ينبغى أيضا أن يخفى العاصى أيضا معصيته من أهله وولده لانهم يتعلمون منه ففى ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس فى اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل الى الناس أنه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم دلنى على ما يحبنى الله عليه و يحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول

ذاكرا أو مسبحا أو تاليا قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفى النهار وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قيل قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل فسبح أراد العشاء الاخيرة وأطراف النهار أراد الظهر والمغرب لان الظهر صلاة فى آخر الطرف الاول من النهار وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلاة المغرب فصار الظهر آخر الطرف الاول والمغرب آخر الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الاول وقد عاد بنوم النهار جديدا كما كان بنوم الليل و يصلى فى أول الزوال

حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا أحب عبدا حببه فى قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال ومالا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم الى مالا لذة فى عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة (القسم) الاول الطاعات اللازمة للبدن التى لا تتعلق بالغير ولا لذة فى عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احداها مايدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغى أن يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية أن ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغى ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع فى العمل وليجاهد نفسه فى دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التى ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغى ان يجاهد فى الدفع ولا يترك العمل لكى يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتمم العمل لان الشيطان يدعوك أولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فأى فائدة لك فى عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زؤان وقال خلصها من الزؤان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا انه مراء أو قالوا انه مخلص وأى فرق بين ان يترك العمل خوفا من أن يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من أن يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع فى أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهى الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض ألقى فى قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر فى الآخرة ولا نفع فيه فى الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل

ولا

قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه صلاة الزوال قبل الظهر فى أول أوقاتها ويحتاج ان يراعى لهذه الصلاة أول الوقت بحيث يفطن للوقت قبل المؤذنين حين يذهب وقت الكراهية بالاستواء فيشرع فى صلاة الزوال ويسمع الاذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستعد لصلاة الظهر فان وجد فى باطنه كدرا من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله تعالى ويتضرع اليه ولا يشرع فى صلاة الظهر الا بعد ان يجد الباطن عائدا الى حاله من الصفاء والذائقون حلاوة المناجاة لابد أن يجدوا صفو الانس فى الصلاة ويتكدرون

ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت واذا أعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان أحدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الاعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي أن يكون بالاقوياء واما اطباق ابراهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بأنه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء واما قول التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها * (القسم الثاني) ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال * اما الخلافة والامارة فهي من أفضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه أبو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه

بيسير من الاسترسال في المباح ويصير على بواطنهم من ذلك عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الاهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين فلا يدخل الصلاة الا بعد حل العقد واذهاب الكدر وحل العقد بصدق الانابة والاستغفار والتضرع الى الله تعالى ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الاهل والولدان أن يكون في مجالسته غير راكن اليهم كل الركون بل يستغرق القلب في ذلك نظرات الى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة الا أن يكون قوي الحال لا يحجبه الخلق عن الحق فلا ينعقد على باطنه عقدة فهو

ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والى عشيرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وان أوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا لا نولي أمرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت أن نهي أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض * وأما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة وقال عليه السلام من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وان تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال أصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار * وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن بشر كذا كذا قمطرة من الحديث وقال يمنعني من الحديث أني اشتهي أن احدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في

كما يدخل في الصلاة لا يجدها ويجد باطنه وقلبه لانه حيث استروحت نفس هذا الى المجالسة كان استرواح نفسه منغمرا بروح قلبه لانه يجالس ويخالط وعين ظاهره ناظرة الى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الالهية فلا ينعقد على باطنه عقدة وصلاة الزوال التي ذكرناها تحل العقد وتهيئ الباطن لصلاة الظهر فيقرأ في صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة في النهار الطويل وفي القصير ما يتيسر من ذلك قال الله تعالى وعشيا وحين تظهرون وهذا هو الاظهار فان انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرض وقرأ الدعاء الذي بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر فحسن وكذلك ما ورد أن رسول الله صلى

وعظه

في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم افسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فأي ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحرث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراآة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لأحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له أيضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث * الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة * الثانية الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بأدنى قوة * الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولاة أشبه وان الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال أبو الدرداء ما يسرني اني أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما اني لا أحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر بها تركك لها أبر وقال أقل ما فيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من

أربع ركعات فهو خير كثير وان أراد ان يحيي هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين * ويستاك قبل الزوال اذا كان صائما وان لم يكن صائما فاى وقت تغير فيه الفم وفي الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام الى الفرائض يستحب (قيل) ان الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وقيل هو خبر وان أراد أن يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ في الركعة الاولى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

الآفات

الآفات فأما من يتعرض للآفة الرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه أفضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب أن يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الاكثر أضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الاحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب أن الافضل الكسب والانفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من امساكه بكل حال فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم أن لذلك علامات احداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى أن الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه أن يزيد في كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الامير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك

حسنة وقنا عذاب النار (ثم) في الثانية ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (ثم) ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة (ثم) ربنا لا تزغ قلوبنا الآية (ثم) ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الآية (ثم) ربنا آمنا بما أنزلت (ثم) أنت ولينا فاغفر لنا (ثم) فاطر السموات والارض أنت وليي (ثم) ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن الآية (ثم) وقل رب زدني علما (ثم) لا اله الا أنت سبحانك (ثم) رب لا تذرني فردا (ثم) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (ثم) ربنا هب لنا من أزواجنا (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

وقولك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا أغزا أخاه أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس أما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين

(بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا أعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لاسيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من أعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه

بالكراهة

وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (ثم) يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي الآية من سورة الاحقاف (ثم) ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين الآية (ثم) ربنا عليك توكلنا (ثم) ربنا اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا فمهما يصل فليقرأ بهذه الآيات وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة مواطئا للقلب واللسان يوشك ان يرقى الى مقام الاحسان ولو ردد فرد آية من هذه في ركعتين من الظهر أو العصر كان في جميع الوقت مناجيا لمولاه

بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء
ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة
رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود
وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة
فيتباكى أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان
يترك التباكي قال لقمان عليه السلام لابنه لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر
وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق
والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس
والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت
هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان
قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون أصل الانين عن الحزن
ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من
الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة تحزين للصوت أو رفع له
أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لاجل الرياء
وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي أن يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة
شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد
يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم
الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن
غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام
ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا
خطرت فعلاجها أن يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على
ضميره وهو له أشد مقتا كما روي عن ذي النون رحمه الله انه قام وزعق فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف
فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من
خشوع المنافقين وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة
بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراآة فهذه خواطر
ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن
أين هو فان كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شئ من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن
على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون الى
حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك
وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته
التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك ان يرى الناس اني أخشاك وانت لي
ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني أعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح
لك فيما أخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع عليه مني أبدي للناس احسن
أمري وأفضي اليك بأسوأ عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيآتي فيحل بي مقتك ويجب
علي غضبك أعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم

ودائما وتاليا ومصليا
والدؤب في العمل واستيعاب
أجزاء النهار بلذاذة وحلاوة
من غير سآمة لا يصح الا
لعبد تزكت نفسه بكمال
التقوى والاستقصاء في
الزهد في الدنيا وانتزع منه
متابعة الهوى ومتى بقي على
الشخص من التقوى
والزهد والهوى بقية لا يدوم
روحه في العمل بل ينشط
وقتا ويسأم وقتا ويتناوب
النشاط والكسل فيه لبقاء
متابعة شئ من الهوى
بنقصان تقوى أو محبة دنيا
واذا صح في الزهد والتقوى
فان ترك العمل بالجوارح
لا يفتر عن العمل بالقلب
فمن رام دوام الروح
واستحلاء الدؤب في العمل

ان الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا اسرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففى الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه أغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل و بعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع فى ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه واحسانه

(بيان ما ينبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل و بعده وفيه)

اعلم ان أولى ما يلزم المريد قلبه فى سائر أوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله وأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فان كان فى هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التى لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما فى الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك و ينكرون قدرك و يحرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الامر ينبغى ان يثبت قدمه و يتذكر فى مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده و يعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لى على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغى أن ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء وأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة فى الاخلاص لان المخلط الى ذلك أحوج من المتقى لان المتقى ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص أحوج *وقد روى تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فألقى فى النار فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده فى جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل وأما المتقى فجهده فى زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقى من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغى ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغى أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا فى قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف فى دوام عمله و بعده الا فى ابتداء العقد بل ينبغى أن يكون متيقنا فى الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك فى أنه هل أفسده برياء فيكون رجاء القبول أغلب و بذلك تعظم لذته فى المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذى يتقرب الى الله بالسعى فى حوائج الناس وافادة العلم ينبغى أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة فى شغل وخدمة أو مرافقة فى المشى فى الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه فى حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو

فعليه بحسم مادة الهوى والهوى روح النفس لا يزول ولكن تزول متابعته والنبى عليه السلام ما استعاذ من وجود الهوى ولكن استعاذ من متابعته فقال أعوذ بك من هوى متبع ولم يستعذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته فقال وشح مطاع ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعا للهوى باستيلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم أو النظر اليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال فى النوم والاكل وغير ذلك من أقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل

منه

منه أن لا يتعجل ذلك أجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعد لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فأدلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف ان يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة أو ببدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء فقال يرحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال الي فأحب ان تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت اليه فقلت ويلك أي شيء قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترحمني أما ترحم اخوتك أما ترحم عيالنا فأكثرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مريئا وأسئل عنها أنا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن ارادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا يزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك أو أزيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت اليك فلما دخلت الدير اجتمع علي النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي أدلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فأعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على

الا في الدنيا * ثم يصلي العبد قبل العصر أربع ركعات فان أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلاة ويقرأ في الاربع قبل العصر اذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم ويصلي العصر ويجعل من قراءته في بعض الايام والسماء ذات البروج وسمعت ان قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدماميل ويقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والدعاء وما يتيسر له من ذلك فاذا صلى العصر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبقي وقت

رده بكراهة العقل والايمان و بادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا أن يزيد عند مشاهدتهم فى الخشوع والانقباض كى لا ينبسطوا اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها فى دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر فى قلبه انه ليس فى الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغنى زيادة هزة فى نفسه لاكرامه الا اذا كان فى الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء أكثر فهو مراء أو طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد فى الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر الى الغنى أكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكى أنه لم ير الاغنياء فى مجلس أذل منهم فيه فى مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء فى مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغنى اذا كان أقرب اليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة فى فقير لكنت لا تقدم الغنى عليه فى اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغنى فايثارك له لا يكون الا طمعا فى غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما فى المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السماك لجارية له مالى اذا أتيت بغداد فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغنى بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها فى هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا أن تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة فى أيام متقاربة وتكون فى الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن فى بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه فى كل ساعة لو اتسع فى الشهوات وعلم أنه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر فى توالى الاوجاع والآلام عليه وأداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنىء وبدن صحيح وقلب رخى وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعيم المقيم فى رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب فى بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول من تقرب الى

الاذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجالسة من يزهده فى الدنيا ويسدد كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين المتكلمين بما يقوى عزائم المريدين فاذا صحت نية القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد والمداومة على الاذكار وان عدمت هذه المجالسة وتعذرت فليتروح بالتنقل فى أنواع الاذكار وان كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه فى هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه فى أول النهار ولا يخرج من المنزل الا وهو على الوضوء وكره جمع من العلماء تجديد الطهارة بعد صلاة العصر وأجازه المشايخ والصالحون

شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم أشد شوقا فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

(كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارئ المصوّر العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر فى جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدفعه عن مراده دافع الغنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدى القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد فى هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصى بيانهما من الكتاب فى شطرين شطر فى الكبر وشطر فى العجب *(الشطر الاول)* من الكتاب فى الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس فى خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر فى القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا فى مائتى ألف من الانس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة

ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ما شاء الله حسبى الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وأنت أخرجتنى وليقرأ الفاتحة والمعوذتين ولا يدع ان يتصدق كل يوم بما يتيسر له ولو بتمرة أو لقمة فان القليل بحسن النية كثير وروى ان عائشة رضى الله عنها أعطت السائل عنبة واحدة وقالت ان فيها لمثاقيل ذر كثير * وجاء فى الخبر كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته * ويكون من ذكره من العصر الى المغرب مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

بالتسبيح فى السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر
لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان
ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد و بكل من دعا مع الله الها آخر و بالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت
رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها
وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى
الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسى المبدأ
والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد
الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى
آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين
وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان و وضعت لا اله الا الله فى الكفة الاخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات
والارضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله و بحمده فانها صلاة كل
شئ و بها يرزق كل شئ وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه
وسلم أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه
وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون
المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال
صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم
كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة
أهل النار وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر
تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال ان
أباك حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه
كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون
ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو
برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول *(الآثار) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن
أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت
حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه
فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج
من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض
جبار السموات وقد قيل فى وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن على
ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سلمان عن
السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالى وفخوخا وان
من مصالى الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير
ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب)

قال

من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ومائتا مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين فقد ورد ان من قال فى يومه مائتى مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد فى يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله الكلمات ومائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله ومائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل

قريش اشمأزمنه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشئ فى يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار (الآثار) قال عمر رضى الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدى طوره رهصه الله فى الارض وقال اخسأ أخسأك الله فهو فى نفسه كبير وفى أعين الناس حقير حتى أنه لأحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسى فذكرت له ما صنعت فقال لى يا جرير تواضع لله فى الدنيا فانه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدرى ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال انه ظلم الناس بعضهم بعضا فى الدنيا وقالت عائشة رضى الله عنها انكم لتغفلون عن أفضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع له بها درجة فى الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء أو يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان أى الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا أمير المؤمنين ان تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله وواسى من ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا

بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان (روى) ان بعض الابدال بات على شاطئ البحر فسمع فى هذا الليل هذا التسبيح فقال من الذى أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما اسمك فقال مهلهيائيل فقلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (وروى) ان عثمان رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله

أصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين
وقال بعضهم كما تكره أن يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة
وروى انه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون ما التواضع التواضع
ان تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه
السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال أبو
سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه
من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم اني اخشى
انهم حرموا بسببي ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع
ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا
ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان أحد يسبقني الى الباب الا رجل بفضل قوة أو سعي قال فلما
بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من أحب الرياسة لم يفلح أبدا وقال موسى بن
القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت امامنا فادع الله
عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان
الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما انت وكان هذا دأبه
وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي اباداك الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا وقال الشبلي في
بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن ابي الفتح بن
شخرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني فقال لي ما احسن
التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم
بالله عز وجل وقال أبو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد ما دام العبد يظن أن في الخلق
من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر
معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال أبو سليمان لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي
ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع
وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر
على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء أحسن والتكبر في الخلق
كلهم قبيح وفي الفقراء أقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن
الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال أبو علي الجوزجاني النفس مجبولة
بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا أراد الله تعالى به
خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد
في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون
الله عز وجل * وعن الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد أيضا التواضع عند أهل
التوحيد تكبر ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها
أو يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان
واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا أنا برجل حاف حاسر
طويل الشعر قال فجعلت أنظر اليه وأتأمله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له

تعالى له مقاليد السموات
والارض فقال سألتني عن
شيء عظيم ما سألني غيرك
هو لا اله الا الله والله أكبر
وسبحان الله والحمد لله
ولا حول ولا قوة الا بالله عز
وجل وأستغفر الله الاول
الآخر الظاهر الباطن له
الملك وله الحمد بيده الخير
وهو على كل شيء قدير من
قالها عشرا حين يصبح وحين
يمسي أعطي ست خصال
فأول خصلة ان يحرس من
ابليس وجنوده الثانية ان
يعطى قنطارا من الاجر
الثالثة يرفع له درجة في
الجنة الرابعة يزوجه الله
من الحور العين الخامسة
اثنا عشر ملكا يستغفرون

الصفة فقال له أتاذن لك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعى هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمى اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافى يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسى رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكننى خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتى الميزان فان ثقل فأنا كريم وان خف فأنا لئيم وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع نسأل الله الكريم حسن التوفيق

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفى أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفى ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغى ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفى الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر أخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذى استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس فى قوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضى أعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه فى مضايق الطرق وارتفع عليه فى المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره فى قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر أنف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف فى النصح وان رد عليه شئ من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهى أكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد

وبين

له السادسة يكون له من الاجر كمن حج واعتمر ويقول أيضا فى هذا الوقت وفى أول النهار اللهم أنت خلقتنى وأنت هديتنى وأنت تطعمنى وأنت تسقينى وأنت تميتنى وأنت تحيينى أنت ربى لا رب لى سواك ولا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ويقول ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ويقول حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء والطهارة ويقرأ المسبعات قبل الغروب ويديم التسبيح والاستغفار

وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم أخبر ان أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا الى الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس

(بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه)

اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الاعلى اذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام

بحيث تغيب الشمس وهو في التسبيح والاستغفار ويقرأ عند الغروب أيضا والشمس والليل والمعوذتين ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فكما ان الليل يعقب النهار والنهار يعقب الليل ينبغي ان يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب أحدهما الآخر ولا يتخللهما شيء كما لا يتخلل بين الليل والنهار شيء والذكر جميعه أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا والله الموفق والمعين

*(الباب الحادي والستون

وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء أشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله ما عليك من حسابهم وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله * القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين * أحدهما أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شئ فمن أين يليق بحاله الكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته أي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك * الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو الى مخالفة الله تعالى في أوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على أمر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من أحواله

في آداب المريد مع الشيخ) * أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب وللقوم في ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم * روي عن عبد الله بن الزبير قال قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع ابن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين

الا ليتكبر به فانه قال أنا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال أنا خير منه لانني من نار وخلقته من طين فحمله
ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر
على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني
امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص
الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو
خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من أخيه واحتقر
أخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من أن
يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله

(بيان ما به التكبر)

اعلم أنه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع
الى كمال ديني أو دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه
سبعة أسباب *(الاول)* العلم وما أسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء
فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر
اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدؤه بالسلام فان بدأ واحدا منهم بالسلام أو رد عليه ببشر
أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه أكرمهم وفعل بهم ما لا
يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم
ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر
فيه استنكره كأنهم عبيده أو اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم
هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف
عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى
عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر
العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي أن يرى كل
الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد
علما ازداد وجعا وهو كما قال *فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا فاعلم ان لذلك سببين
*أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه
ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل
الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى
بصناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع
غالبا *السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل أولا
بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في
العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا
فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر
مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع

آمنوا الآية قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا تقدموا
لا تتكلموا بين يدي كلامه
وقال جابر كان ناس يضحون
قبل رسول الله فنهوا عن
تقديم الاضحية على رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وقيل كان قوم يقولون لو
أنزل في كذا وكذا فكره
الله ذلك وقالت عائشة
رضي الله عنها أي لا تصوموا
قبل أن يصوم نبيكم وقال
الكلبي لا تسبقوا رسول
الله بقول ولا فعل حتى يكون
هو الذي يأمركم به وهكذا
أدب المريد مع الشيخ أن
يكون مسلوب الاختيار
لا يتصرف في نفسه وماله
الا بمراجعة الشيخ وأمره
وقد استوفينا هذا المعنى في

تواضعا وهذا لان من كانت همته التكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف أولياءه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال له انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال انى أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتمسن اماما غيري أو لتصلن وحدانا فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم أفضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما أعز على بسيط الارض عالما يستحق أن يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا اليه رجاء أن تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله *(الثاني)* العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم اذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله الى درجته في العمل وما أجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روي أن رجلا في بني اسرائيل كان يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو

باب المشيخة وقيل لا تقدموا لا تمشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو الدرداء قال كنت أمشي امام أبي بكر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي امام من هو خير منك في الدنيا والآخرة وقيل نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سئل الرسول عليه السلام عن شئ خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المريد في مجلس الشيخ ينبغي ان يلزم السكوت ولا يقول شيأ بحضرته من كلام حسن الا اذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة له في ذلك وشان المريد في حضرة الشيخ كمن هو

أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجلا في بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله اليه أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرز الخز أي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجرى عليه واذا أصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه أكرم على الله من أنبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين وأما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصي وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات * الدرجة الاولى أن يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية * الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل

قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا ساقه اليه فتطلعه الى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه الى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شئ لنفسه وذلك جناية المريد وينبغي ان يكون تطلعه الى مهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على أن الصادق لا يحتاج الى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يبادئه بما يريد لان الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه الى الله ويستمطر ويستسقي لهم فيكون

أما العابد فانه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثنى على نفسه ويقول انى لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول قصدنى فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجرى مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد فى العبادة خوفا من ان يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه فى دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفنن فى العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذى سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو انه يجتهد فى المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار فى تحصيل علوم يتجمل بها فى المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا أصاب وأحسن خيفة من ان يرى انه أعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التى يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو من جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعرى من الذى عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من أهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذى فهم أن الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل *(الثالث)* التكبر بالحسب والنسب فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطى ويا هندى ويا أرمنى من أنت ومن أبوك فأنا فلان بن فلان وأين لك أن يكلمنى أو ينظر الى ومع مثلى تتكلم وما يجرى مجراه وذلك عرق دفين فى النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبى ذر أنه قال قاولت رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدى فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف أن العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبى صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذى افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدوف بآنافها القذر *(الرابع)* التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجرى بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت دخلت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا أى انها صغيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها لو كانت أيضا صغيرة لما ذكرتها بالصغر فكأنها أعجبت

لسانه وقلبه فى القول والنطق مأخوذين الى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح به عليه لان الشيخ يعلم تطلع الطالب الى قوله واعتداده بقوله والقول كالبذر يقع فى الارض فاذا كان البذر فاسدا لا ينبت وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها فالشيخ ينقى بذر الكلام عن شوب الهوى ويسلمه الى الله ويسأل الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحى فكما لا يخون جبريل فى الوحى لا يخون الشيخ فى الالهام وكما أن رسول الله صلى الله

بقامتها

نفسه فوقه * وأما الرياء فهو أيضا يدعو الى أخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم

*(بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر) *

اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها أن لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن أبي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا أعرف رجلا منكم شرا مني وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هي أول نومة نامها فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال

يتكلم مع الاصحاب بما يلقى اليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فاشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال اذا كان القائل هو يعلم ما يقول كيف يكون كمستمع لا يعلم حتى يسمع منه فرجع الى منزله فرأى ليلته في المنام كأن قائلا يقول له أليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في مخلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه الا اذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام اشارة الشيخ في ذلك فأحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والجمود والجود حتى يبادئه

علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للامير يا ابن أبي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كأني أنظر الى عمر رضي الله عنه معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان فقال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب علي كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب وقال طاوس اني لأغسل ثوبي هذين فأنكر قلبي ما داما نقيين ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطباق تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الجدة وان أفضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله أن يدخره عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب وأوذي وأخذ حقه فذلك هو الاصل وقد أوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه فينبغي ان يقتدى به ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن أبي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال

الشيخ بما فيه من الصلاح قولا وفعلا (وقيل أيضا) في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تطلبوا منزلة وراء منزلته وهذا من محاسن الآداب وأعزها وينبغي للمريد أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرائب المواهب وبهذا يظهر جوهر المريد في حسن الارادة وهذا يعز في المريدين فارادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه ويكون قائما بأدب الارادة قال السري رحمه الله حسن الادب ترجمان العقل وقال أبو عبد الله بن حنيف قال لي رويم يا بني اجعل

يا ابن أخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا أعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب اذا دعي وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده من طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى أحد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر أياما يسيرة أحب الى من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب الى من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال أبو الدرداء اعلم أن لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم أوتاد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبر وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيأ ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها الا أن تكون تبغض الدنيا فانك اذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي ان ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين

عالك ملحا وأدبك دقيقا *وقيل التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن يلزم الادب يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي كان ثابت ابن قيس بن شماس في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم انسانا جهر بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فانزل الله تعالى الآية تأديباله ولغيره

اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى ابن كثير فنظرنا فى ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبى المحبين لك يارب العالمين فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شئ منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمنى بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفى معالجته مقامان أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها فى القلب الثانى دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره *(المقام الاول)* فى استئصال أصله وعلاجه علمى وعملى ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما أما العلمى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك فى ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع فى اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فان فى القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره فقد اشارت الآية الى أول خلق الانسان والى آخر أمره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما أول الانسان فهو انه لم يكن شيأ مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شئ أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من أرذل الاشياء ثم من أقذرها اذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظام لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيأ مذكورا فما صار شيأ مذكورا الا وهو على أخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له فى مدة حياته الى الموت وكذلك قال من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه أحياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا وأسمعه بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما أكفره والى جهل الانسان كيف أظهره فقال أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان فى ذاته لا شئ وأى شئ أخس من لا شئ وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيأ وانما خلقه من التراب الذليل الذى يوطأ بالاقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين

(أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا محمد بن المثنى قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا نافع بن عمر ابن جميل الجمحى قال حدثنى حابس بن أبى مليكة قال حدثنى عبد الله بن الزبير أن الاقرع بن حابس قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يارسول الله فتكلما عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى علت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ما أردت الا

وعرّف خسته أولا فقال ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله
فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه
عادة الخسيس اذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة الا بالله نعم لو أكمله
وفوض اليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام
وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم
يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضي أم سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت
كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد
أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد أن يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والافكار
بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون
حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه ولا يأمن في لحظة من ليله أو
نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو
مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأي شيء أذل منه
لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمله وأما آخره ومورده فهو الموت المشار
اليه بقوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه
وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى الا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع
في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه
ويصير رميما رفاتا ويأكل الدود أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر أجزائه
فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه
لشدة الانتان وأحسن أحواله أن يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان
فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا كما كان في أول أمره أمدا مديدا
وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد
جمع أجزائه المتفرقة ويخرج الى أهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة
وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر
اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك
التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله
من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك فهلم الى الحساب
واستعد للجواب أو تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة
ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهذا
آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء أنشره فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح في لحظة
واحدة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن
يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وان كان عند الله
مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع اذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب
والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة
خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت

خلافي وقال عمر ما أردت
خلافك فأنزل الله تعالى
الآية فكان عمر بعد ذلك
اذا تكلم عند النبي صلى
الله عليه وسلم لا يسمع كلامه
حتى يستفهمه وقيل لما نزلت
الآية آلى أبو بكر أن
لا يتكلم عند النبي الا كأخي
السرار فهكذا ينبغي أن
يكون المريد مع الشيخ
لا ينبسط برفع الصوت وكثرة
الضحك وكثرة الكلام
الا اذا بسطه الشيخ فرفع
الصوت تنحية جلباب الوقار
والوقار اذا سكن القلب عقل
اللسان ما يقول وقد ينازل
باطن بعض المريدين من
الحرمة والوقار من الشيخ
ما لا يستطيع المريد أن
يشبع النظر الى الشيخ

أنتن من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة الا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيأ حتى يعتقد له فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة الا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحبس فى السجن وهو ينتظر أن يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدرى أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله فى السجن افترى أنه يتكبر على من فى السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمى القامع لاصل الكبر * وأما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه كان يأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما أنا عبد فاذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به الى العتق فى الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة أسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على ان لا أخر الا قائما فبايعه النبى صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت * (المقام الثانى) * فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا فى كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقى هو العلم والعمل فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل فى جميع الاسباب السبعة * الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا فى صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذى ينسب اليه حيا لكان له أن يقول الفضل لى ومن أنت وانما أنت دودة خلقت من بولى افترى أن الدودة التى خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التى من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثانى أن يعرف نسبه الحقيقى فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله التراب المهين الذى يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن أين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فاذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل

وقد كنت أحم فيدخل على عمى وشيخى أبو النجيب السهروردى رحمه الله فيترشح جسدى عرقا وكنت أتمنى العرق لتخف الحمى فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ على ويكون فى قدومه بركة وشفاء وكنت ذات يوم فى البيت خاليا وهنالك منديل وهبه لى الشيخ وكان يتعمم به فوقع قدمى على المنديل اتفاقا فتألم باطنى من ذلك وهالنى الوطء بالقدم على منديل الشيخ وانبعث من باطنى من الاحترام ما أرجو بركته (قال ابن عطاء) فى قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم زجر عن الادنى لئلا يتخطى أحد الى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل فى ذلك

منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقى للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة
وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه
نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ أخبره عدول لايشك فى قولهم أنه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات
وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيأ من كبره لابل يصير عند نفسه
أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزى لخسته فى شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر
فى أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة
أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه التراب والدم فكيف اذا عرف أنه فى نفسه من التراب والدم
والاشياء القذرة التى يتنزه عنها هو فى نفسه * السبب الثانى التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر
العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل
به الاقذار فى جميع أجزائه الرجيع فى امعائه والبول فى مثانته والمخاط فى أنفه والبزاق فى فيه والوسخ فى أذنيه
والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين ويتردد
كل يوم الى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك
ليعرف قذارته وذله هذا فى حال توسطه وفى أول أمره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض
وأخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم
خرج من مجرى القذر قال أنس رحمه الله كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر الينا أنفسنا ويقول
خرج أحدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ماهذه مشية من فى بطنه خرء اذ
رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته وهذا أوله ووسطه ولو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل
لثارت منه الانتان والاقذار وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التى لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر أنه خلق من
اقذار وأسكن فى أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن
وكلون الازهار فى البوادى فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه
القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى
يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو فى كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الاسباب
فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر
تأملها * السبب الثالث التكبر بالقوة والايدى ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه
لو توجع عرق واحد فى يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيأ لم يستنقذه منه وان
بقة لو دخلت فى أنفه أو نملة دخلت فى أذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت فى رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من
قوته ما لا ينجبر فى مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى ان يفتخر
بقوته ثم ان قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار فى صفة يسبقك فيها
البهائم * السبب الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفى معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين
والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا أقبح أنواع
الكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين
السلطان وولايته لا بصفة فى نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل
متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى فى اليهود من يزيد عليه فى
الغنى والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود
صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست فى ذاته وما هو فى ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال

ونكال

لاتخاطبوه الامستفهمين
(وقال) أبو بكر بن طاهر
لاتبدؤه بالخطاب ولاتجيبوه
الاعلى حدود الحرمة ولا
تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض أى
لاتغلظوا له فى الخطاب ولا
تنادوه باسمه يامحمد ياأحمد كما
ينادى بعضكم بعضا ولكن
فخموه واحترموه وقولوا له
يانبى الله يارسول الله ومن
هذا القبيل يكون خطاب
المريد مع الشيخ واذاسكن
الوقار القلب علم اللسان
كيفية الخطاب ولما كلفت
النفوس بمحبة الاولاد
والازواج وتمكنت أهوية
النفوس والطباع استخرجت
من اللسان عبارات غريبة
وهى تحت وقتها صاغها

وتكاملت فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشئ من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان أبقاه بقي لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد مملوك لا تقدر على شئ ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ومثاله أن يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن في التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره * السبب السادس الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال ابن عباس رضي الله عنهما أوتي بلعم كتابا فأخلد الى شهوات الارض أي سكن حبه اليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي سواء آتيته الحكمة أو لم أوته لا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه اذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني أمي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أوكل ويقول الآخر ليتني لم أك شيأ مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبر ان سيده أرسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا

كلف النفس وهواها فاذا امتلأ القلب حرمة ووقارا يعلم اللسان العبارة (وروى) لما نزلت هذه الآية قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف ان تكون نزلت في أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف ان يحبط عملي وأكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فسدي على

و يلقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش
عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد
فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك
انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون
هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه
وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ماهو بصدده من الخطر العظيم فارقه
كبره لا محالة * الامر الثاني أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وأنه اذا تكبر صار ممقوتا
عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك
قدرا فلا قدر لك عندي فلابد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن
أنه لا ذنب له مثلا أو تصور ذلك وبهذا ازال التكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا أن من نازع الله تعالى في
رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضا مما يبعثه على
التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم
عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق
والمبتدع أكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور
ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة
والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله
عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا أبا بكر وحده فالعواقب
مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان
لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني وان نظر الى عالم
قال هذا قد علم مالم أعلم فكيف أكون مثله وان نظر الى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلي
فكيف أكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وان نظر الى مبتدع أو كافر
قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي
فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من
الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل
واحد ان يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق
بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا
لتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد همه بنفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كأن كل
واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما
ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق اذ يمتزج غضبك
لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا
جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل
مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه
الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر
ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك
عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها التفاتك

الضبة بمسمار فضربته
بمسمار حتى اذا خرجت
عطفته وقال لا أخرج حتى
يتوفاني الله أو يرضى عني
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما أتى عاصم النبي
وأخبره بخبره فقال اذهب
فادعه فجاء عاصم الى المكان
الذي رآه فلم يجده فجاء الى
أهله فوجده في بيت الفرس
فقال له ان رسول الله يدعوك
فقال اكسر الضبة فأتيا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت
فقال أنا صيت وأخاف ان
تكون هذه الآية نزلت في
فقال له رسول الله أما ترضى
أن تعيش سعيدا وتقتل
شهيدا وتدخل الجنة فقال قد

شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة وتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدرى لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الاعمال وبرى ظاهر فذلك شر لى فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة فمن جوّز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الازل بشقوته فماله سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى ان عابدا أوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذي بوجهك فأتاه فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس الا وقع لى أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أى انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل في أهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدؤب بالاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي أن يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة * الامتحان الاول ان يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وان يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما

ثقل

في المنام فقال له اعلم ان فلانا
رجلا من المسلمين نزع درعي
فذهب بها وهو في ناحية
من العسكر وعنده فرس
يستن في طيله وقد وضع
على درعي برمة فأت خالد بن
الوليد فاخبره حتى يسترد
درعي وأت أبا بكر خليفة
رسول الله عليه السلام فقل
له ان علي دينا حتى يقضى
عني وفلان من عبيدي
عتيق فاخبر الرجل خالدا
فوجد الدرع والفرس
على ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالد أبا بكر بتلك
الرؤيا فاجاز أبو بكر وصيته
قال مالك بن أنس رضي الله
عنهما لا أعلم وصية أجيزت
بعد موت صاحبها الا هذه
فهذه كرامة ظهرت لثابت

ثقل عليه الثناء على أقرانه بمناقبهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من أدوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان *الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن *الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر *الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم وروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت ان أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أو الشئ فقد برئ من الكبر *الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام انما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف وأعقل البعير والعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروى ان أبا موسى الاشعري قيل له ان أقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم وأحب الامور الى الله تعالى أوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيأ من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لاقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره

بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق ويعلم ان الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله وان الذي يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام القوم بواجب الادب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي اختبر قلوبهم وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه وكما ان اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ لتأدب القلب فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ

فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الميل الى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر والتواضع

(الشطر الثاني من الكتاب) في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ذكر ذلك في معرض الانكار وقال عز وجل وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن أسلم لا تبروها أي لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال مازال يعرف في طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو هو العجب في اللغة الا انه لم ينقل فيه انه أظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب الي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب أكبر الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا

(قال أبو عثمان) الادب عند الاكابر وفي مجالسة السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلا والخير في الاولى والعقبى ألا ترى الى قول الله تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ومما علمهم الله تعالى قوله سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وكان هذا الحال من وفد بني تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين قال فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي ذمه شين ومدحه زين في

(بيان آفة العجب)

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له وأما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان أكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وان كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

(بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما)

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بأنه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيأ فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من ان تبكي وأنت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه والله تعالى أعلم

(بيان علاج العجب على الجملة)

قصة طويلة وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والانصار بالخطبة وفي هذا تأدب للمريد في الدخول على الشيخ والاقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره الى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته * سمعت ان الشيخ عبد القادر رحمه الله كان اذا جاء اليه فقير زائر يخبر بالفقير فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع الى خلوته واذا جاءه أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع انكار لتركه الخروج الى الفقير

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط
فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان
العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب ومالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول
الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه أو من حيث
انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة
غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان
يعجب به من حيث انه هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغي أن يتأمل في قدرته وارادته واعضائه
وسائر الاسباب التي بها يتم عمله انها من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له
ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به
على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه
ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق
واعجابه بنفسه من أين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل
لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا أنه تفطن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة
لما آثرني بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيتك التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة
أوهي عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب
به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما أعطاني غلاما لاني صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال
وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فاذا
كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك
الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد
بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك
فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك
اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب
أعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك
من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده فان قلت لا يمكنني أن
اجهل أعمالي واني أنا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت ثوابا فان كانت الاعمال مخلوقة لله
على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها فاعلم ان جوابك
من وجهين أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة أما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك
وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة أوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك
وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو أردت ان تنفي شيأ من هذا عن
نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع
الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما
بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيأ بعد شئ هو الذي خيل لك انك
أوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب الشكر
فانه أليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب أن

وخروجه لغير الفقير
فانتهى ما خطر للفقير الى
الشيخ فقال الفقير رابطتنا
معه رابطة قلبية وهو أهل
وليس عنده أجنبية فنكتفي
معه بموافقة القلوب ونغنى
بها عن ملاقاة القالب بهذا
القدر وأما من هو من غير
جنس الفقراء فهو واقف
مع العادات والظاهر فمتى
لم يوف حقه من الظاهر
استوحش فحق المريد عمارة
الظاهر والباطن بالادب
مع الشيخ (قيل) لابي منصور
المغربي كم صحبت أبا عثمان
قال خدمته لا صحبته فالصحبة
مع الاخوان والاقران ومع
المشايخ الخدمة وينبغي
للمريد كلما أشكل عليه
شئ من حال الشيخ يذكر

العمل

العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح أو بما اليك من مد اليد واخذها فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريبة وانما الشأن كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله ليس شئ منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما أعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وأفقره ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدرى المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي أو هلا رزقتني أحدهما والى هذا أشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدرى المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجهال كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب انى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطالب بها نعمة أخرى فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ومن أين

قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى واذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ في كل شئ عذر بلسان العلم والحكمة (سأل) بعض أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد فاجابه الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الادب وقيل من قال لاستاذه لا لا يفلح أبدا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا

إلهي ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ماقويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ أضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم وقال داود يارب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا ان ابتليتني صبرت فأدل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأي شئ أبتليهم ولا في أي شهر ولا في أي يوم وأنا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي أمر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أني لك ذلك أي من أين لك ذلك قال فأخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي أن يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال والله تعالى أعلم

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية أقسام * الاول أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في أقذار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وأنتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع * الثاني البطش والقوة كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم من أشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام أنه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما أراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت وكان اعجابا منه بالقوة فلما ابتلي بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وانه اذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه * الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى أهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يأمن ان يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه

وليعلم

أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا هناد عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوني ما تركتكم واذا حدثتكم فخذوا عني فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم (قال الجنيد) رحمه الله رأيت مع أبي حفص النيسابوري انسانا كثير الصمت لا يتكلم فقلت لاصحابه من هذا فقيل لي هذا انسان يصحب أبا حفص ويخدمنا وقد أنفق عليه

وليعلم انه ما أوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله و ينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم و يضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا * الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له و يتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس من أكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا تأتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا أغني عنكما من الله شيأ فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا أغني عنكما من الله شيأ الا ان لكما رحما سأبلها ببلالها وقال عليه الصلاة والسلام أترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقي الله أن يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته لأن الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى و بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه و بقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له و بقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على

مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ما سوغ له أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة (وقال أبو يزيد البسطامي) صحبت أبا علي السندي فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا (وقال أبو عثمان) صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي فلم أجعل مكافأتي له على كلامه ان أولي ظهري اليه فانصرفت أمشي الى خلف ووجهي مقابل له حتى غبت عنه واعتقدت ان أحفر لنفسي بئرا على بابه وأنزل واقعد فيه ولا أخرج منه الا باذنه فلما رأى ذلك مني قربني وقبلني

مجرد الطب بل للطبيب اثر على الجملة ولكن فى الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغى ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخيرا الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم * الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر فى مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد فى دين الله وانهم الممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم فى النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم فى القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم فى مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلاب والخنزير أحب اليه من الانتساب اليهم فحق أولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض * السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن أكثر أموالا وأولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر وهو أن يتفكر فى ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن فى قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيأ وهو فى أحوج أوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الآية فأى خير فيمن يفارقك فى أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك فى القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من ملك نفعك وضرك وموتك وحياتك * السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت أن يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر فى آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة فى القيامة والى ان المال غاد ورائح ولا أصل له والى أن فى اليهود من يزيد عليه فى المال والى قوله عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر فى حلة له قد أعجبته نفسه اذ أمر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة أشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا اباذر ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لى يا اباذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره فى القيام بحقوق المال فى اخذه من حله ووضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله * الثامن العجب بالرأى الخطا قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال انما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى

والشهوة

وصيرنى من خواص أصحابه الى ان مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة ان المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ الا وقت الصلاة فان المريد من شأنه التبتل للخدمة وفى السجادة ايماء الى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك فى السماع مع وجود الشيخ الا ان يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال فى السماع وتقيده واستغراقه فى الشيخ بالنظر اليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الاصغاء الى السماع * ومن الادب أن لا يكتم عن الشيخ شيأ من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة

الامور الجلية ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغنى عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الاموال والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته)

اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشئ ويراه على خلاف ما هو به والغرور جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير اما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور *(المثال الاول)* غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهى اذا خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان أما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى فى قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفى قوله عز وجل وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وأبقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبى والده فى ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ

عُرف فضله وقويت محبته والمحبة والتالف هو الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لان المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان بن أحمد قال ثنا أنس بن أسلم قال ثنا عتبة ابن رزين عن أبى امامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغى له أن لا يخذله ولا يستأثر عليه فمن فعل

العلماء فالقياس الذي تنظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان أقل منها فالنسيئة خير فان الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ مالا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هي مثله وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الاول لان كلا أصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالاضافة الى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا أتنعم فأحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور * وأما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال

ذلك فقد قصم عروة من عرا الاسلام ومن الادب ان يراعي خطرات الشيخ في جزئيات الامور وكلياتها ولا يستنكر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته (قال ابراهيم ابن شيبان) كنا نصحب أبا عبد الله المغربي ونحن شبان ويسافر بنا في البراري والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة فكان اذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه حال الشيخ نتشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا الى ما كان ومن أدب المريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة

الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لامحالة والغرور يزول به وأما المدرك الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحى للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن أن معرفة النبي عليه السلام لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وانما يختلف المقلد فقط وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليه فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الامر الذى يقابل النهى لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشأن حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وأن هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى أليق به بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وانه أمر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعى ذاتى الا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه اشارة الى أسرار يهتز لاستنشاقها العارفون ويشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء * ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لان أصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء أيضا مغرورون أعنى المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا * ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم وبألسنتهم أنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة

الشيخ فان الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح الى الله أكبر فان كان واقعة المريد من الله تعالى يوافقه الشيخ ويمضيها له وما كان من عند الله لا يختلف وان كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف فالمريد اعله فى واقعته يخامره كون ارادة فى النفس فيتشبك كون الارادة بالواقعة مناما كان ذلك أو يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المريد باستئصال شأفة الكامن فى النفس واذا ذكره للشيخ فما فى المريد من كون ارادة النفس مفقود فى حق الشيخ فان كان من

أمرهما كما نقل فى التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هنالك شئ وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وان كان فليكونن لى فى الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لأوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروى عن خباب بن الارت أنه قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لى فقلت انى آخذه فى الآخرة فقال لى اذا صرت الى الآخرة فان لى هنالك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله تعالى قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا وقال الله تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من أقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه فى قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

وانما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا أنى كريم عند الله ومحبوب لما أحسن الى والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد فى الخبر عن سيد البشر وكان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا أقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انها هوان كما أخبر الله تعالى عنه اذ قال فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن فأجاب الله عن ذلك كلا أى ليس كما قال انما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة أو بالتقليد أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام فى منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة وأما معرفته بطريق التقليد

الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع واقعته الى كون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة المريد ويحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة ابوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الادب مع الشيخ ان المريد اذا كان له كلام مع الشيخ فى شئ من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ انه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ فكما ان للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لانه مخاطبة الله تعالى فالقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط لانه من معاملة الله تعالى ويسأل الله

والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى و يصدق رسوله وقد قال تعالى أيحسبون أن ما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفى تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله و بصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات الفاسدة و ينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض وما جرى لهم كيف أحسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز و جل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغى ان يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك فى حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذا من أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند ذلك المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور *(المثال الثانى) غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود فى الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصى العباد فى بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستدرجاتهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم فى الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من أحب انسانا أحب أولاده وان الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة و ينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد ان يستصحب ولده معه فى السفينة فلم يرد فكان من المغرقين فقال رب ان ابنى من أهلى فقال تعالى يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وأن ابراهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه فى أن يزور قبر أمه و يستغفر لها فأذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار فجلس يبكى على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع و يبغض العاصى فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصى فكذلك لا يحب الولد العاصى بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسرى من الاب الى الولد لاوشك ان يسرى البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه و يروى بشرب أبيه و يصير عالما بتعلم أبيه و يصل الى الكعبة و يراها بمشى أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيأ وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن فى الشفاعة له كما سبق فى كتاب الكبر والعجب فان قلت فأين الغلط فى قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا فما هذا الا كلام صحيح مقبول الظاهر فى القلوب فاعلم أن الشيطان لا يغوى الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن

تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الادب وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مخاطبته فقال يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة يعنى امام مناجاتكم قال عبد الله بن عباس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثروا حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسئلة فأدبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وأمرهم ان لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الاغنياء يأتون النبى عليه السلام و يغلبون الفقراء على المجالس حتى كره النبى

النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعنى ان الرجاء بهم أليق وهذا لانه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى ان من استؤجر على اصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم أن المستأجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وكما أن الذى يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وأنزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى أن يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون أى علمنا أنه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وكلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير أى ألم نسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذى غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين أحدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله يغفر الذنوب جميعا وان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم أمرهم بالانابة وقال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له أن يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو ان يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الامام للصلاة لاجله الى وسط الوقت أو لاجل غيره أو لسبب من الاسباب التى لا يعرفها فهو مغرور الثانى ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء

عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فامر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فاما أهل العسرة فلانهم لم يجدوا شيأ واما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة لم يناج رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبي طالب فقدم دينارا فتصدق به وقال على في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى وروى ان رسول الله صلى

الثانى يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر فى العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا فى العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار فى النار أبد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده فى الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته فى عباده وقد خوفنى عقابه فكيف لا أخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعى للآخرة فذلك غرور فقد أخبر صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس فى الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار فى طاعة الله يبالغون فى التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم فى الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون انهم عرفوا من فضله وكرمه مالم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلى ماذا كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور فى كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل منى وان أساء قال يغفر لى فأخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه وبمثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب أى هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقرآن من أوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن مافى كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الاخرى ألفا وأراد ان يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد

الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا عليا وقال ماترى فى الصدقة كم تكون دينارا قال على لا يطيقونه قال كم قال على تكون حبة أو شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية وما نبه الحق عليه بالامر بالصدقة ومافيه من حسن الادب وتقييد اللفظ والاحترام مانسخ والفائدة باقية (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سلمان قال أنا أبو الفضل أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان بن أحمد قال ثنا مطلب بن شعيب قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا

أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطالبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمها هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله ان نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

(بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

(الصنف الاول) أهل العلم والمغترون منهم فرق (ففرقة) أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فيسعى فى طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التى منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغنى عنه من مرضه شيأ هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيأ الا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه فى وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه أصلا فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذى أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصى ولم يجتنبها وأحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة فى فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه وأهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان أتذكرنى فضائل العلم وتنسينى ما ورد فى العالم الفاجر الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأى خزى أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال أيضا يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه

ابن لهيعة عن أبى قبيل عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه فاحترام العلماء توفيق وهداية واهمال ذلك خذلان وعقوق

(الباب الثانى والخمسون فى آداب الشيخ وما يعتمده مع الاصحاب والتلامذة)

أهم الآداب ان لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فاذا رأى ان الله تعالى يبعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن

فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى وكقوله عليه الصلاة والسلام شر الناس العلماء السوء وقول أبي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات أي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من ان يحصى الا ان هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين واذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين (وفرقة أخرى) أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله عليه الصلاة والسلام حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي أوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص

وصدق الارادة يحذر ان يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة اقبال الخلق والشهرة وفي الخمول السلامة فاذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله اياه انه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مريد ومسترشد ساقه الله تعالى اليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر اللجأ اليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المريد بالكلمة الا وقلبه ناظر الى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول

باب

منهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويصحبه من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ بأحوال القلب وان توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له أنت من أوتاد الارض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه (وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه ما تقرب المتقربون الى بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له من أبر يا رسول الله قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك فينبغي أن يبدأ في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجه فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه أولى به الا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه *(الصنف الثالث)* المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم

وفى

وكان لابيه نعمة فانقطع الى الصوفية وصحب أبا أحمد القلانسي فربما كان يقع بيد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب ان نرفق به ونؤثره على غيره * ومن آداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه لانه جاء لله تعالى فيجعل نفعه وارشاده خالصا لوجه الله

وفى أحوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله فى الجيب كالمتفكر وفى تنفس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط فى المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم فى الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيأ منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه فى شئ من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت أسماؤهم فى الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها الى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال أبياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم فى الميدان وكيف تحريكهم الايدى وتلقفت جميع شمائلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر أنفذت الى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها فى الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هى عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت الى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف فى القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضى الاكبر الذى لا ينظر الى الزى والمرقع بل الى سر القلب (وفرقة أخرى) زادت على هؤلاء فى الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم فى بذاذة الثياب والرضا بالدون فأرادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الحرير والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الحرير والابريسم وظن أحدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته فى أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان فى الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم (وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ لانه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك أعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحى ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون ويقول فى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه (وفرقة أخرى) وقعت فى الاباحة وطووا

تعالى فاسدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات (وقد ورد) ما تصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يبثه فى الناس وقد قال الله تعالى تنبيها على خلوص ما لله وحراسته من الشوائب انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فلا ينبغى للشيخ ان يطالب على صدقته جزاء الا أن يظهر له فى شئ من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الرفق منه أو صلاح يتراءى للشيخ فى

بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وأدركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل انما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء اصنافهم يطول (وفرقة أخرى) جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن ايثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها (وفرقة أخرى) ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن أن بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور (وفرقة أخرى) ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه

عيبا

حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد مأمونة الغائلة من جانب الشيخ قال الله تعالى يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم معنى يحفكم أي يجهدكم ويلح عليكم قال قتادة علم الله تعالى أن في خروج المال اخراج الاضغان وهذا تاديب من الله الكريم والادب أدب الله * قال

عيا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضييع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه (وفرقة أخرى) جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك (وفرقة أخرى) جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار فى الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين فى السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب فى الطريق الا ويظن أنه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها فى الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهى كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون أن الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذى لا يغر السوادية ولكن المراد به أنه نور من الانوار التى هى من حجب الله عز وجل وهى على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهى حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه فى أول ما كان يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذى لا وصول الا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى فى حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا أحب الآفلين انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر ربانى وهو نور من أنوار الله تعالى أعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو فى أول الامر محجوب بمشكاة هى كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه فى هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما فى الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة أو فى ماء فيظن أن الكوكب فى المرآة أو فى الماء فيمد يده اليه ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور فى طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه أيضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى أن يسمعه من

جعفر الخلدى جاء رجل الى الجنيد وأراد أن يخرج من ماله كله ويجلس معهم على الفقر فقال له الجنيد لا تخرج من مالك كله احبس منه مقدار ما يكفيك وأخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد فى طلب الحلال لا تخرج كل ما عندك فلست آمن عليك ان تطالبك نفسك * وكان النبى عليه السلام اذا أراد أن يعمل عملا تثبت * وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد انه اذا خرج من الشئ يكسبه

غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضربه اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق بان الامر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التى أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل * (الصنف الرابع) * أرباب الاموال والمغترون منهم فرق (ففرقة منهم) يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين * أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع من كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما بأعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير * والوجه الثانى انهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذى أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك (وفرقة أخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهى أيضا مغرورة من وجهين * أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون فى جواره أو بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وانما يخف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس * والثانى انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التى هى منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة أبصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلى لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغى أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتى أمتى بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا أهلكه بذنوب أهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التى تعجبكم شيأ وان أحب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث انه رأى المنكر معروفا واتكل عليه (وفرقة أخرى) ينفقون الاموال فى الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق فى السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون

من الحال ما لا يتطلع به الى المال فحينئذ يجوز له ان يفسح للمريد فى الخروج من المال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وقبل منه جميع ماله (ومن آداب الشيخ) اذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجا أو أحس منه بدعوى أو رأى انه داخله عجب ان لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الاصحاب ويشير الى المكروه الذى يعلم ويكشف عن وجه المذمة

مرة بعد أخرى وربما تركوا أجيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور الى جنبه لا يواسيه وقال أبو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج فأمرنى بشئ فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفى درهم قال بشر فأى شئ تبتغى بحجك تزهدا أو اشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت فى منزلك وتنفق ألفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مدين يقضى دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغنى عياله ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا أبا نصر سفرى أقوى فى قلبى فتبسم بشر رحمه الله تعالى وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل الا عمل المتقين (وفرقة أخرى) من أرباب الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل فى ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء (وفرقة أخرى) غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا بأداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردىء الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم أو من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الاموال أيضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور (وفرقة أخرى) من عوام الخلق وأرباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكى ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى أو الجائع الذى يحضر عنده من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيأ فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغنى من الله شيأ فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى اقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فأقول الانسان اذا فترت همته

مجملا فتحصل بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب الى المداراة وأكثر أثرا فى تألف القلوب واذا رأى من المريد تقصيرا فى خدمة ندبه اليها يحمل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة بالرفق واللين والى ذلك ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الكروخى قراءة عليه قال أنا أبو نصر الترياقى قال

في شئ أظهر اليأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله واذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه واذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه واذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا أراد أن يأخذ الحيات والافاعي ويعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها واذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لان همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه الاشغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شئ لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه مع انك أكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لابد منها * اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لابد منه في أصل الفطرة فهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن أبي الدرداء أنه قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال أنس أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لم يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحيح غريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب

ذكر

أنا أبو محمد الجراحي قال انا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا رشدين بن سعد عن أبي هلال الخولاني عن ابن عباس بن جليد الحجري عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة * وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى

ذكر الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه فى الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته فى الامور كلها فان أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا أحب اليه من الآخرة وهوى نفسه أحب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم أعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر اليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة فى طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التى لا بد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الانواع التى أشرنا اليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التى ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذى يخاف عليه فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى فى أمرهم سكارى فى دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فى تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفى أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى الى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم واشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع فى الزى والهيئة فأقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع

الله عليه وسلم وهم أحق الناس باحياء سنته فى كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب (ومن جملة مهام الآداب) حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من أنواع المنح فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحفظ الشيخ فى نفس المريد ما يجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شئ من خوارق العادات ويعرفه أن الوقوف مع شئ من هذا يشغل عن

فصار أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه بأبدانهم وأموالهم وصار واله خولا كالعبيد والخدم نخدموه وقدموه فى المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لهامن لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع فى أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو أخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان نخيل اليه أن ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور فربما أخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد فى الاعمال والاوراد لاجل ذلك والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد أثر كلامه فى القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا فى بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاء من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لامحالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغى أنه يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك فى نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس فأقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا ينكر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التى لا يلتفت الى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضىء لغيره ويحترق فى نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما فى حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصى بقول الله تعالى ورسوله

الله ويسد باب المزيد بل يعرفه ان هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه ان شان المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعة الاسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لاذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب اذاعة السر للانسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف الى الفعل

(فهرسة الجزء الثالث وهو الربع الثالث من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى)

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرسة الجزء الرابع وهو الربع الرابع من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)